محمد مدن عمير

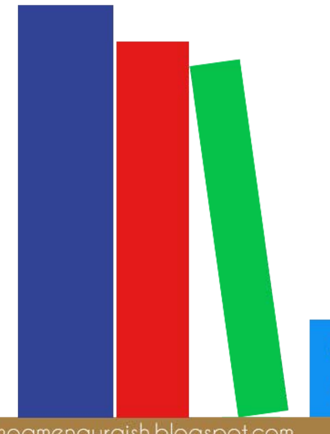


للحجِ سرٌ آخر

حواريات في أسرار الحج

حاوره:
حسين التاروتي

المركز الإسلامي المعاصر



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

للحج سر آخر

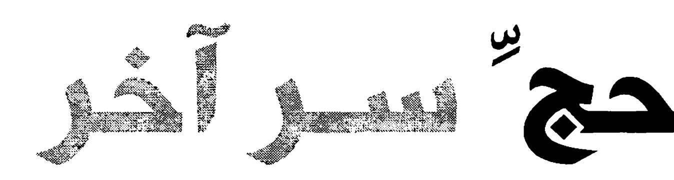
تأليف: محمد مدن عمير

mohomair@gmail.com

حاوره: حسين التـــاروتي

مراجعة: الشيخ حسين مياحي

الناشر: المركز الإسلامي المعاصر.بيروت



حلقات حوارية في أسرار الحج

محمد مدن عمير

حاوره: حسين التاروتي

المركز الإسلامي المعاصر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع المرسلين.

إن الكتابة في (أسرار الحج)من جملة ما اهتم به علماء وعرفاء المسلمين، لما يتميّز به (الحج) من خواص تجعله يرقى على الكثير من العبادات في الإسلام، في قدرته على صناعة الإنسان المؤمن عقلاً وقلبا وسلوكا، وفي رسم ملامح المشروع التطبيقي في الصعود إلى الله عزّ وجل.

ومن جملة التوفيقات الإلهية طلبُ الأستاذين: حسين التاروتي، والسيد كمال الدعلوج أن نقدم بشكل مشترك برنامجا في (أسرار الحج) يغطي المناسك جميعها في حلقات عشر، لبثها على القنوات الإسلامية الفضائية، وفعلاً فقد وفقنا الله تعالى لذلك، وراحت تأخذ طريقها لعقول وقلوب المشاهدين، مما جعل الكثير منهم يناشد بإخراج هذه الحلقات بشكل مدون مكتوب، ونقلها من العالم اللفظي إلى العالم الكتبي.

وها نحن نستجيب للأعزاء، فبين أيديهم (للحج سر آخر) سلسلة حوارات في البعد الروحي والأخلاقي لعبادة الحج.

نسأله تعالى أن يوفقنا لتقديم ما هو نافع في حقل (الأسرار) لتكون مما تنتفع به المكتبة العلمية الإسلامية، فتكون كلمة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وهنا أشير إلى أن (للحج سر آخر) حاول أن يقفز على المألوف في تناوله لـ(الأسرار)، ليعيد فهم ما كتبه الأعلام في هذا الحقل، وأن يستكشف ملامح جديدة تستبطنها هذه العبادة العظيمة، من خلال الاعتماد على المصادر الأصيلة لاكتشاف الحكم والعلل والأسرار، كما بيناه في مطاوي الحوار، فهي محاولة (معاصرة) تحافظ على أصالة الفكرة وعمقها.

والمتابع لحلقات الحوار العشر، سيجد الكثير من الاختلاف، وهذا الاختلاف يقتضيه نقل البحث من الفضاء إلى الورق، إذ إنَّ لكل عالم خصائصه، فربما اضطررنا لإعادة صياغة السؤال أو الجواب أو كليهما، أو إضافة أو حذف أو تعميق الفكرة، وغيرها.

أتمنى أن يتلمس القارئ العزيز هذه الخصائص، وأن يعتبرها حجاج بيت الله الحرام هدية مني لهم، لأدخل معهم في ساحة الكرم والثواب الإلهي.

في الختام، شكري الجزيل أقدمه للأستاذين القديرين: التاروتي والدعلوج، وللأخوات اللاتي حولن الحوار إلى نص مكتوب، وإلى (رؤية) للتصميم الفني، وإلى (نور العترة للحج والعمرة) التي تبنت الكتاب لتكون هديتها لحجاجها الكرام، وإلى سماحة الشيخ حسين المياحي، وإلى جميع من أسهم في إنجاح هذا الكتاب.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

محمد مدن عمير

قم المقدسة. ذو القعدة ١٤٣٠هـ

الحلقة الأولى

هندسة التوازن

العبادة تصنع الإنسان

مقدمة

التوازن بين الروح والجسد:

بأي مقدار يهتم التشريع الإسلامي بعملية التوازن للإنسان: باطنه وظاهره، جسده وروحه؟

في الحقيقة إن المناهج الإسلامية التي تولّت مخاطبة عقل وقلب الإنسان مناهج متنوعة، وهي إنما تنوعت لتراعي طريقة التفكير الإسلامي حول الإنسان.

إن الله سبحانه وتعالى . حسب النظرية الإسلامية . خلق الإنسان وقد شكّله من جانبين: جانب يمثل الجسد وآخر يمثل الروح، وبالتالي: حين يصاغ الإنسان بهذه الطريقة ويراد من الإسلام أن يخاطبه فمن الطبيعي أن يخاطب فيه الروح والجسد ليتكامل الإنسان في مسيرته.

بل: الإنسان يراد منه في كل الأديان أن يعيش حالة متوازنة بين هذين البعدين، وما حصل من تفكيك بينهما إنما هو نتيجة التحريف في بعض الكتب المقدسة، حتى أصبح التدين والجمال والحقيقة عناوين تتصف بها الروح فقط دون الجسد، والإيمان موقعه الباطن دون الظاهر!

وبالتالي نستطيع من خلال هذه الفكرة أن ننطلق للتعليق على بعض التساؤلات التي تُثار حول (الفقه الإسلامي) أنه: فقه شكلاني يتعارض مع

مبدأ الأخلاق، أو لا يهتم بالأخلاق أو أنه لا يهتم بالبواطن والأسرار.

ونحن نقول: لا مشكلة بأن يهتم المنهج الفقهي في تنفيذ الأعمال العبادية بشكل صحيح شرعا، وضمن الموازين الشرعية، فهو بالتالي يهتم بشكلانية هذه العبادة. بينما تقوم المناهج الإسلامية الأخرى بتغطية الجانب القيمي، وهو: الجانب الروحي والقلبي.

والحديث مع القلب حديث خاص. فكما أن المناهج والمعارف الإسلامية الأخرى كعلم الفلسفة أو الحكمة الإلهية أو المناهج التي دخلت ضمن نطاق (أسلمة العلوم) كعلم المنطق، لها منهجها الخاص في مخاطبة عقل الإنسان ومناغاة البعد الفكري الوقاد؛ فكذلك حديث القلب له أدواته وأساليبه، وتستطيع أن تطلع عليها من قراءة شاملة للنصوص الأخلاقية التي تحدثت عن (الجهاد الأكبر).

هذا عند النظر للتشريع الإسلامي العام، فكيف الأمر بالنسبة للعبادات؟

العبادة تشكل مخ الهيكل الإسلامي وتشريعاته، لأنها هي النبضة التي إن كان لها نصيب من حياة حوّلت جميع العبادات الأخرى إلى فاكهة ذات نكهة ورائحة رائعتين.

إننا بدون العبادة المتلئة بالعاطفة أمام الله سبحانه لا نستطيع أن نفرّق بين الممارسة الظاهرية المسماة بالعبادة وبين أي عمل سلوكي بدني آخر.

الله سبحانه وتعالى حينما خلق هذا الجسد من الطين لم يقتصر على الطين إنما نفخ فيه روحا إلهية، روحا من عنده ، حتى تبقى هذه الروح هي الأساس والموقد الذي يُضيء بيت النفس المظلم.

يقول تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ لأنه في هذه اللحظة سيكون مظهرا من مظاهر الله سبحانه وتعالى وروحه..

هذه الروح التي يجب أن تنسجم مع الجسد انسجاما في عالم التشريع لأنها في عالم التكوين كذلك.

ألا ترى الروح حينما ترتاح وتنشرح ينشرح معها الوجه، وهكذا العكس؟ إذن: العلاقة مترابطة، فلابد من التركيز على التوازن الدقيق بين الروح والجسد والباطن والظاهر.

كيف تنعكس الممارسات الجسدية الظاهرية مع الجانب التربوي للعبادة، سواء كان في حج أم صلاة أم غيرها ؟

الإسلام ليس كبعض المذاهب الفلسفية المعاصرة التي تريد من الإنسان أن يفرغ طاقته عن طريق العمل الدؤوب بكثرة الحركة، بل يريد أن ينعش جسده بالحركة بعد أن تكون الروح هي الموقد والطاقة الحرارية التي تمد الجسد بهذه الطاقة الدافئة.

فلهذا من لا يتمثل فلسفة الصوم لا يناله إلا الجوع والعطش، والمصلي الذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ..لم يزدد من الله ألا بُعدا، وهذا الحاج الذي أقبل على الله في موسم الحج لن يناله من الحج إلا هذه الطقوس، بل قد يكون أثرها عكسيا على السلوك العملي.

وللإنصاف أقول:

من لا يجيد الاستفادة من هذا الموسم فمن باب أولى أن لا يستفيد من مواسم عبادية أخرى، لما يحمله من خصائص نفيسة متكاملة.

وسوف نتعرض في (أسرار السعي) إلى الخصائص الحركية والتربوية لهذه الشعيرة المقدسة، والتي من شأنها تعميق حالة الربط بين الروح والجسد.

الأبعاد الشاملة في الحج:

ما الأبعاد التي نستطيع أن نستقيها من الحج، أليس الحج كغيره من العبادات التي تشتمل على خصائص الروح العبادية؟

نستطيع أن نقول: إن الحج هو الممارسة العبادية الوحيدة التي تحتضن كل أبعاد العبادات الأخرى! كيف ؟

عندما يقوم الفرد مصليا فإنه يبدأ بتشغيل طاقته الحركية فيركع ويقوم ويسجد لله سبحانه، لكنها لن تتجاوز المناخ الفردي، حتى إذا استفيد من أثرها الروحي، أو أقيمت جماعة دخلت ضمن ممارسات المجتمع الديني.

و الصوم هو علاقة بالله « الصوم لي وأنا أجزي به» كما في الحديث القدسي، فهي عبادة فردية، لكن إذا انعكست في سلوك الصائمين باحترام أجواء الشهر الفضيل وعدم هتك مشاعر الصائمين بالإفطار العلني مثلاً تمظهرت بالمظهر الاجتماعي، كذلك الكثير من العبادات إنما هي علاقة فردية أولاً وبالذات، لكن إذا انضمت إلى عبادات اجتماعية أخرى كان لها نكهات أخرى: إما اجتماعية أو سياسية أو حركية.. أما الحج فإنه بطبعه وحقيقته وأسلوب أدائه يحمل هذه الأبعاد المتكاملة.

فهو يختصر كل العبادات: ففيه حركة، وفيه صوم عن محرمات الإحرام، وفيه شعائر جماعية، وفيه نداء سياسي يوم البراءة من المشركين، الذي أسس لظاهرة التوحيد السياسي المستبطن في أدعية الحج، بالخصوص

دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفه.

وهذا استعراض للأبعاد بشيء من التفصيل:

أولا : البعد الفكري

ونقصد به التعبئة الفكرية التي يتعبأ بها الحاج قبل وأثناء وبعد الحج.

فالحاج يهتم بالثقافة الفكرية ليكون برنامجه في الحج واعيا، والثقافة الصحية، حتى لا يمرض ولا يصيبه أي مكروه أثناء الحج، والثقافة الأخلاقية في علاقته مع الله وعلاقته مع إخوانه الحجاج، التي ينبثق منها الثقافة الاجتماعية، كما أنه في حالة تدريب مكثفة في برنامجه الفقهي، حيث يعتاد على الالتزام بالواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ويعتاد على فهم لغة الفقه والفقهاء في الرسائل العملية ومناسك الحج.

ثانياً: البعد الروحي الفردي للحج

الحج ضيافة الله عز وجل، والإمام الباقر «عليه السلام» يفسر قوله تعالى: (ففروا إلى الله) بالفرار إلى الله بالحج .

فالحج هو موعد اللقاء مع الله، ومحطة الانقطاع الكامل، والنظر لكرامة الله، فالتعبئة الروحية في الحج تتمثل بأعلى وأقصى درجاتها، في زمن قياسي.

ثالثاً : البعد السياسي للحج (الوحدة الإسلامية والبراءة نموذجا):

الحج في الحقيقة يمثل النداء الإسلامي في كل عام ، ففي كل عام نرى المسلمين متحدين يوحدون الله عز وجل مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ويطوفون ويسعون بشكل جماعي. كما أنهم يقفون بأرض عرفة كذلك، حتى

لو اختلفت الأنظار في ثبوت هلال الحج، فإن أهل البيت (ع) أرادوا لنا (تقيةً ومداراةً) أن نكون مع المسلمين على أرض واحدة في ظهيرة واحدة.

نعم الأمة الإسلامية في داخلها تمارس عملية سياسية باتجاه تطبيق الوحدة. وهذا الدرس التطبيقي يقرأه الآخر بكل إجلال؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يجمع أكثر من مليونين من الحجاج يمارسون عملية الحج بنفس الطريقة ونفس الثياب وبنفس التلبية التوحيدية في غير هذا اليوم.

كل ذلك يعطي درسا تأصيليا في الوحدة، وإن كان درسا عقائديا فقهيا في الأصل إلا انه اتخذ بعده السياسي.

رابعا:البعد الاجتماعي للحج

الحج عبادة اجتماعية من الطراز الأول، فلا يمكنك أن تتعبّد لوحدك! حتى لو ذهبت الحج بمفردك، فإنك ستلتقي بأخيك في الرمي ويوم عرفة وفي المشعر الحرام وستمارس عباداتك حتى في جوف الليل بمرأى من إخوانك المؤمنين.

لكن الكثير منا يجهل هذه الأبعاد، كيف نفعلها؟ كيف نعمق وجودها في ذهن الحاج؟

يمكنني التركيز على نقاط، للاقتراب نحو التفعيل:

١/ نتحدث عنها كثير .

٢/نلفت الحاج إلى هذه الأبعاد عن طريق: الكتب، المحاضرات، النشرات، فعلى المرشد أن يغطي جميع هذه الأبعاد أثناء الإرشاد قبل الحج بالخصوص، حتى يتشكل في عقل الحاج نسك فقهي فكري روحي اجتماعي.

إذن نحن بحاجة إلى حملة تثقيفية في هذا الاتجاه الذي يؤمن بضرورة ترابط العقل والقلب والسلوك..

نعم؛ العقل والقلب والسلوك ثلاث مظاهر للإنسان أما العقل فهو مظهر وجوده الفكري، أما القلب فهو أساس وجوده وحياته العاطفية، والسلوك فهو مظهر توازن القلب والروح عند الإنسان.

أليس في التعرف على أسرار العبادات وحكمها تمهيدا للتعرف على أسرار الحج؟

نعم بالطبع، لكننا في الفقه الأمامي نؤمن بفكرة مفادها:

إنّ جل التشريعات الإسلامية قد خفيت عللها على العقل البشري، إلا ما بينه الشارع في كتاب أو سنة، وهو قليل جدا، لذلك: نحن لا نتحرك في مقاصد الشريعة إلا في دائرة استيحاء واستظهار الحِكَم والأغراض، لأننا نعتقد أن الشارع المقدس لا يشرع عبادة خالية من الملاك والمصلحة، أو خالية عن المقاصد والمصالح، وهذا ما يعنيه علماء الأصول بـ(تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد)، فكل عبادة فيها مصلحة شديدة كان الأمر فيها بالوجوب، وكل شيء يستبطن أو تترتب عليه مفسدة شديدة كان النهي عنه بالحرمة، وكذلك المستحب والمكروه على درجات أخف للمصلحة والمفسدة، كما قد تكون المصلحة -عند بعضهم- في نفس الجعل والتشريع لإبراز هيمنة المولى وامتحان مستوى العبودية المحضة عند المكلف.

يقول أمير المؤمنين (ع) في خطبة له في ذكر الحج:

(وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه وله الحمام.جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته..).

لذلك، الأحكام الشرعية لا شك أنها ناشئة من علل، وتحوي حكما لكنها خفيت علينا.

منهج اكتشاف الأسرار الباطنية:

فكيف يمكن لنا أن نبحث عن أسرار العبادات؟

نحن نستطيع أن نبحث في هذه الحِكَم، أن نستوحيها عن طريق استقراء الآتي:

- النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ألا ترى أنها تتحدث عن الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ وكأن هذه الصلاة هي الوسيلة التي يريدها الله بشكل يومي ولفترات خمس أن تدفع الإنسان نحو هذه الاتجاه. لكن لو إن إنساناً لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر هل يقول الفقيه ببطلانها؟ لا، إنما الأخلاقي أو العارف يستطيع الجزم بعدم فائدتها في تقويم سلوك المصلي.

- التجربة الخاصة للعابد: وأقصد بها وعيه الدائم لحركته العبادية، وقدرته على اكتشاف أسرار العبادة من خلال علاقته الدافئة بالله عز وجل، وتلمسه لكيفية سد النواقص والثغرات التي تقوم به العبادة داخل قلبه أو تزيح بعض الشبهات عن عقله.

وقد يكون مستغربا أن تكون للإنسان العادي القدرة على النظر بقلبه لأسرار العبادة، لكن هذا الاستغراب يندفع بتعرفنا على أسرار النفس البشرية، وأن درجات الكشف والشهود مختلفة، أولها (الوجدان) ويراد به هنا: الأنس لحظة الدعاء، والانكسار لحظة البكاء في ساحته المقدسة.

وهذه العملية لا ينبغي أن تؤصل إلا بعد أن تعرض التجربة على أهل الاختصاص ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ النحل: ٤٣، لأن العابد قد يستوحي حكمة أثناء علاقته الروحية مع الله، لكنها غير صائبة.

تطبيـــق:

دعونا نطبق الفكرة على مناسك الحج:

نستطيع أن نتعرف حكم وروح الحج من خلال:

- النصوص القرآنية التي شرعت الحج وذكرت بعض فصوله وبعض محرمات الإحرام.

مثال (١): قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ البقرة: ١٩٧.

مثال (٢): قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ الحج: ٢٧-٢٨.

- النصوص الروائية التي جاءت تكميلاً لما أجمله القرآن الكريم في آيات التشريع.

مثال(١): الرواية الثانية من الباب الأول من أبواب وجوب الحج وشرائطه من موسوعة (وسائل الشيعة): عن عمر بن أذينة قال: كتبتُ إلى أبي عبد الله (ع) بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس، فجاء الجواب بإملائه (ع): «سألتَ عن قول الله عز وجل: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)؟ يعني به: الحج والعمرة جميعا لأنهما مفروضان، وسألته عن قول الله عز وجل : (وأتموا الحج والعمرة لله) قال: يعني: بتمامهما أداءهما، واتقاء ما يتقي المحرم فيهما ، وسألته عن قوله تعالى: (الحج الأكبر) ما يعني الحج الأكبر؟ فقال: الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار، والحج الأصغر العمرة».

والشاهد فيه: الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار، فإنه مفتاح للدخول إلى أسرار عرفه ورمي الجمار.

مثال(٢): ما رواه في (وسائل الشيعة) في نفس الباب عن الكليني: روي عن أمير المؤمنين (ع) قال في خطبة له:.. إلى أن قال: حتى يهزوا مناكبهم ذللاً لله حوله، ويرملوا على أقدامهم شعثا غبرا له، قد نبذوا القنع والسرابيل وراء ظهورهم، وحسروا الشعور حلقا عن رؤوسهم..

- النصوص الروائية التي اهتمت ببيان أسرار المناسك وكل شعيرة يؤديها الحاج.

مثال(١): حديث الشبلي، وهو ما روي أن الإمام زين العابدين (ع) تحدث مع الشبلي لما رجعا من الحج، وهو حديث مفصل في آداب الحج ومناسكه.

وهو حديث شريف، نقله السيد عبدالله الجزائري (ره) في التحفة السنية، إلا أنه (ره) عبّر عنه بالمرسل.

مثال(٢): ما روي عن الإمام الصادق (ع): «إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك... وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ...واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل..»

وقد أدرجنا هاتين الروايتين في آخر الكتاب تعميما للفائدة.

- النصوص الروائية الدعائية والمناجاة التي ناجى فيها أهل البيت (ع) خالقهم ومعشوقهم، وأثاروا بعض الحكم والأسرار.

مثاله: الأدعية المروية في الميقات (عند الغسل، عند الإحرام، عند التلبية..) وفي الطواف وفي السعي وفي المشعر الحرام وفي عرفة وفي ...الخ.

فأنت ﭬ الميقات تتحدث مع الله من خلال الدعاء: «قطعتُ مسافة طويلة رجاء عفوك» وحينما تحضر أمام الكعبة تقول «الحمد لله الذي شرفك وعظمك» وحين تطوف ﭬ كل شوط تدعو دعاءً تتنزل عليك الروحانية ببركته. وحينما تسعى وترمي و.. كلها إشارات نفيسة من أهل البيت (عليهم السلام) .

فهذه ﭬ الحقيقة كنوز لا يملكها أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى. نحن نملك كنوز أهل البيت المتمثلة ﭬ :النصوص الفقهية والأدعية المباركة المقترنة بالمناسك، وإذا أضفنا لها التجربة الشخصية للناسك يتحصل لدينا ثلاث طرق للاستيحاء.

وعند مراجعة كلمات الأعلام الذين تحدثوا ﭬ أسرار الحج تجدهم اعتمدوا على هذه المصادر الثلاثة.

وأضيف مصدرا رابعا يُعد رافدا أساسيا ﭬ اكتشاف الأسرار: وهو البحث التاريخي.

مثال (١): سعي زوجة إبراهيم (ع) عندما كانت تبحث عن الماء لولدها، هذا حدث تاريخي، فلماذا نكرر نحن هذا الحدث؟

مثال(٢): طاف الأنبياء حول البيت العتيق على تعاقب الفترات والسنين، فهل سيقف العقل عند هذا المقدار القصصي؟ أم أنه سينفتح لاكتشاف الحكم وسر العبودية.

يقول أمير المؤمنين(ع) ﭬ خطبته ﭬ ذكر الحج وحكمته:

«واختار من خلقه سُمّاعا أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته».

التوازن بين العقل والغيب:

ومن هنا فنحن أمام درس جديد، فالعقل يفاجأ عندما يلزم بالطواف سبعا حول بيت بناه إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (عليهما السلام) من حجر وطين!

يصف أمير المؤمنين (ع) هذا الدرس التطبيقي بقوله في خطبته في ذكر الحج وحكمته: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع..».

هذا برنامج تدريبي لإقناع العقل بضرورة أن يؤمن بوجود سقف لإدراكاته، كما أنه برنامج تدريبي لجعل الإنسان أكثر عبودية وخضوعا بين يدي الله سبحانه وتعالى.

لذلك فإن: التدرب على العبودية من أهم دروس المناسك، وإذا رجعنا لدرس التوازن عند الإنسان، فكما نتحدث عن توازن الروح والجسد، لا بد أن نؤكد على ضرورة توازن الإنسان بين الانجذاب لعقله والانجذاب للغيب والسماء.

محور العبودية:

وإذا كنت أتحدث عن سر العبودية في الحج، فأريد أن أؤكد على نقطة مهمة، وهي:

إن جميع الأبعاد التي ذكرناها تتكامل وتلتقي عند محور واحد وهو محور (العبودية لله) المنطلقة من مبدأ (التوحيد)، لأنها الانعكاس السلوكي لأهل الأصل الأساس من أصول الدين.

ويمكننا التمثيل بما ذكره صاحب تفسير الميزان السيد العلامة الطباطبائي (ره) حين أكد على أن الروح السارية في القرآن الكريم، والتي

تلتقي عنده كل أهدافه وأغراضه هي (الروح التوحيدية).

وهذا ما نقوله في ترابط الأبعاد والتقائها عند محور (العبودية) في الحج.

إذن هذا الحديث يجعلنا نطل على محور هام وهو دور العبادة في صياغة الشخصية المتكاملة؟

نعم، كما تفضلتم، نستطيع من خلال هذه الشعيرة بالذات أن نصل لمرحلة التكامل الداخلي، تبعا لترابط الأبعاد التي تستبطنها العبادة، ونجسد الحالة التوحيدية في أحلى مظاهر العبودية لله عز وجل، التي تفتح الإنسان في هذه الدنيا على لذة مفهوم (الحرية) الحقيقية.

إذا كانت هذه الأسرار موجودة في الحج ولها ثقلها وأبعادها العميقة السلوكية والتربوية على الحاج كيف يستفيد منها مع نفسه وأسرته ومجتمعه مع الله ؟

يستطيع الحاج أن يُفعِّل الطاقة الروحية الكامنة داخله، فيمدد زمن العبادة وآثارها لما بعد الحج.

وحتى يعيش الحاج حركة الاكتشاف لتلك الأبعاد، لابد له أن يحفز عقله وقلبه بالاستعداد التام لهذا الموسم، عن طريق أداء الأمانات، ورد الحقوق، وتحسين الخُلق، والبحث عن نواقصه واستعراض تجاربه مع الله عز وجل، ليرى: أين كان نصيبه من حب الله وقربه؟.

كما أن من أهم الأمور تحفيز الذات على (التوبة)، فهو مقبل على محطات قبول التوبة، وعبادة لو قُبلت منه رجع كيوم ولدته أمه.

فهل يا ترى أن هذا القلب الأبيض بعد الحج يبقى كما هو؟

هذا هو السؤال الأصعب. والجواب يعتمد على مدى استعداده قبل الوفادة على الله، وعلى مدى سعة إنائه لجمع الفواكه من مائدة الله عز وجل.

الخلاصة:

١) الحج يختصر العبادات لاحتوائه للأبعاد المتكاملة المترابطة الهادفة لصناعة الإنسان.

٢) لحج مسيرة تدريبية نحو التكامل الإنساني عبر خطوط التوازن التالية:

أ. التوازن بين الروح والجسد.

ب. التوازن بين العقل والقلب.

ج. التوازن بين العقلانية والغيب.

د. التوازن بين الفردية والاجتماعية.

٣) الحج يحوي الكثير من الأسرار لا نعلمها لكننا نستطيع أن ندخل في عالمها.

٤) الحج رحلة مع الله من أولها حتى آخرها.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الثانية

شاطئ اللقاء

في الميقات يبدأ مشوار العبودية

أسرار الميقات

الميقات أول مراحل الرحلة إلى الله عز وجل، فما هي آدابه الموصلة إلى اكتشاف أسراره؟

وللدخول في عالم الميقات من المفيد التعرف على معناه أولاً، فالميقاتُ مأخوذ من الوقت، وهو الزمان، لكنه هنا يعني: المكان الذي يجب على الحاج أن لا يدخل (الحرَم) إلا بعد الإحرام منه أو مما يحاذيه، فالميقات - كما في لسان العرب، ج٢: ١٠٧، فصل: الواو - هو: «الوقت المضروب للفعل والموضع، يقال: هذا ميقات أهل الشام، للموضع الذي يحرمون منه».

فالميقات في الحقيقة هو مكان نمارس فيه أعمالا عبادية، من خلالها ندخل في رحاب الله ونكون قد بدأنا أول أعمال هذا الحج المبارك. وإذا كان الميقات بهذه المثابة فإن الميقات يمثل باب الله الذي منه يؤتى.

وإذا كان الحج يمثل ضيافة الله ومائدته؛ فلا بد لنا أن نستحضر القيم والآداب التي نكتسب - بالالتزام بها - بركات هذه الضيافة.

ويمكننا أن نختصر الآداب في:

١) الاستئذان للدخول.

٢) الوثوق من حسن الضيافة.

أما الأول، فالاستئذان يتحقق بوضع الأقدام على أرض الميقات، حيث

يهفو القلب إلى الكرم الإلهي، وتقبل الأماني إلى جزيل عطاياه.

والثاني: فهو شرط في كل دعاء، وبقدر ما يثق العبد من إجابة مولاه فإن العطايا تتنزل عليه بلا حساب، هذه معادلة يقينية في رحاب الله عز وجل.

أسرار الميقات:

لا شك أن هذه الآداب تُحيلنا إلى اكتشاف أسرار الميقات وأبعاده الروحية؟

نعم، إننا نستوحي الآتي:

- إن الميقات باب من أبواب الرحمة الإلهية.

- إن في الميقات يغادر الإنسان منازل الدنيا، ويسكن في منازل الآخرة، فهو بإحرامه قد أعرض عن شواغل عالم الملك بروحانية عالم الملكوت.

- إن في الميقات تبدأ عملية التعبئة الروحية للانطلاق إلى أداء المناسك، فالحاج يحتاج إلى طاقة يختزلها لتكون حركاته وسكناته بكل إقبال، ويكسر حاجز الكسل في العبادة أو الإعراض عن الملل في ساحة القدس.

- إن الميقات ليس مكاناً كغيره من الأمكنة، فهو من المواضع التي يحبها الله عز وجل، لأنها ميقات العاشقين له الطالبين لما عنده.

هو موقع مادي لكنه مليء بالخصائص المعنوية والروحية.

وهذه المضامين مستوحاة من مجموعة نصوص، مثلاً: الحاج عندما يدخل الميقات يقرأ هذا الدعاء: «وأتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها» ..فهو باب وأمرت أن يؤتى منه لأنه حد فاصل بين مرحلتين فلا يمكننا أن تتجاوز منطقة الميقات إلا بإحرام.. «وتقربت إليك»..لان التعبئة الروحية

تعني شحن وتحفيز القلب أن يتوجه إلى القرب من الله سبحانه وتعالى.

إذن الميقات هو مكان مليء بالروحانية.

وفي الرواية عن معاوية بن عمار عن الصادق (ع): «من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التي وقتها رسول الله، لا تجاوزها إلا وأنت محرم». وهذه وأمثالها من الروايات مستند الفقهاء في فتواهم بحرمة تجاوز الميقات إلا بإحرام، ويمكن لفقهاء الأخلاق أن يكتشفوا منها الثواب الجزيل الذي يستتبع هذه العبادة.

ويستحب لمن أراد الإحرام أن يقول: «اللهم إني أريد ما أمرت به من التمتع بالعمرة إلى الحج فيسر ذلك لي وتقبله مني». فالدعاء بالتيسير هو طلب لإعطاء الطاقة وتذليل الصعاب، والدعاء بالقبول فتح لأمل الداعي بحسن الإجابة مما يزيد في همته وقوة أدائه.

من خلال الميقات بالنسبة للحاج كيف يستطيع أن يوظف منسك الميقات في تنقية نفسه ليتخلص من الأنا والذات؟؟

بكل تأكيد، في الميقات:

- ينزع الثياب، فينزع الأنا.
- يلبس ثياب الإحرام، فيلبس التقوى، ويتشبه بأهل الطاعة.
- ينوي الإحرام، فيعزم على الطاعة وترك المعصية.
- يلبي، فيمارس الامتثال لأوامر الله بسلوكه العملي.

لكن الإنسان يميل لما يدركه بحواسه، كيف يمكن له تصور هذه المفاهيم؟

الإنسان مادي من خلال حواسه الخمس، لكن كما أن الكثير يملك

حدسا في الأمور العقلية، فإن الكثير يملكون حدسا في المعنويات، أو قل: هناك حاسة سادسة يمكن للإنسان أن ينشطها لاكتشاف البعد الآخر في كل عمل عبادي.

وهذه العبادة وأمثالها تؤهلنا - تدريجيا - للوقوف على ما وراء الزمان والمكان، أي ما وراء الطبيعة.

والمتقون يؤمنون بالغيب، بل ويتلمسونه في كل عبادة وفي كل فعل لله عز وجل. وهناك نص رائع للشهيد الأول (ره) في شرح الإرشاد في حقيقة الإحرام:

(هو توطين النفس على ترك المنهيات المعهودة إلى أن يأتي بالمناسك، والتلبية -وهي الرابطة لذلك التوطين- نسبتها إليه كنسبة التحريمية إلى الصلاة، والأفعال هي المزيلة لذلك الرابط، ويتحقق زواله بالكلية بآخرها، أعني التقصير وطواف النساء بالنسبة إلى النسكين).

لكن ما الحكمة في أن يتخلى الإنسان عن ملابسه؟

لعل الحكمة هي: تقديم درس للإنسان في أن يتخلى قليلاً عن زينه الدنيا وبهرجتها.

الإنسان ربما يميل طبعه إلى الجمال فيحب أن يكون جميلاً بلباسه، بمظهره الخارجي ربما يميل للتفاخر بلباسه.

نزع الثياب هو نزع لفتيل الأنا هو نزع لما يترتب الأنا من آثار نزع حب التفاخر حب الجمال الشخصي والذاتي، ليفكر في جمال آخر، ليفكر في الجمال الإلهي، وكأن الدرس الأول هو نزع للأنا.

والدرس الثاني: يريد الإسلام منك أن لا تهتم بجمالك الظاهري

دائما، بل حاول أن تركز في جمال باطنك، فأنت نزعت الثياب الجميلة فعلاً لكن هناك جمال آخر ابدأ الآن بالتأمل فيه، هل ترى نفسك جميلاً صافيا؟؟

إن كنت ترى ذلك فأبدأ بإتمام هذا الجمال، وإن كنت ترى نفسك قبيحا من الداخل، والعياذ بالله فأبدأ بتجميل الصورة وتزيينها.

إذن نزع الثياب هو نزع للأنا ونزع للاهتمام الظاهري و التركيز والاهتمام بالباطن الذي هو جوهر الإنسان .

ولماذا يجب نزع كامل الثياب المخيطة؟ ألا يكفي نزع بعضها للوصول إلى هذه النتيجة، وماذا بالنسبة للمرأة؟

نحن متعبدون بالحكم الفقهي ومن خلاله ننطلق في استقرائنا واستنطاقنا لما وراء الحكم.

فعين تلك الدروس يمكننا تطبيقها على المرأة، لكن بما يتناسب مع الأحكام الخاصة بها، فهي لا يجب عليها نزع المخيط، لكن يستحب لها أن تلبس الأبيض لان المحرم بشكل عام يستحب له أن يلبس الأبيض، و بالتالي فإنها بإمكانها أن تحرم بنفس الثياب، لكنها حين تحرم بالإحرام الخاص للحج، فإنها تدخل في تلك التجربة الروحية في التفكير في الداخل بدل التأمل بالخارج والمظاهر الشكلية.

من المعلوم أن الحج يذكرنا بالآخرة، أليس ثوبا الإحرام يشبهان ما يلبسه الميت حين تكفينه؟ ما هو الأثر النفسي الذي يتركه هذا التشابه؟

إن الحاج في هذا الميقات الظاهري الدنيوي يستحضر داخل نفسه

ميقات يوم القيامة وهو ميقات تزدحم فيه الخلائق لكن لباسهم واحد. لأنهم سوف يخرجون بأكفانهم من القبر ووحشة القبر، ولباس الإحرام سيذكر بلا شك بالآخرة.

كما أن الإقبال على الله في هذا الميقات بلباس واحد، بدون أي زينة إضافية، يذكرنا الآخرة، فهي كذلك لأن الكل يقف بين يديه، والبضاعة الوحيدة هي العمل الصالح.

في الغالب، لا يلتفت الحاج إلى هذه المعاني، فكيف يمكنه استحضارها؟

الاستعداد للقاء:

أ- بين الدقة الفقهية والأخلاقية:

في العادة نجد الحجاج يبالغون في الدقة الفقهية أثناء تأدية المناسك، حتى لا يقع خطأ يفسد العمل، فهل يمكن أن نضيف إلى هذه الدقة دقةً في عالم المعنى؟ فيتأمل في داخله وفي آخرته؟

ب- التهيؤ:

كما أن الميقات هو المنزل الذي يتهيأ الحاج فيه لأداء المناسك فقهيا، كذلك هو أخلاقيا.. إذ لابد للحاج أن يأخذ فرصة في هذا الميقات ليستشعر هذه المعاني ويعيش دفء العلاقة مع الله.

بل يجب أن يبدأ التهيؤ من حين خروجه من المنزل بالمواظبة على مستحبات السفر، والاستغراق في ذكر الله باستمرار، سواء كان السفر طويلاً أم قصيرا، كل هذا يجعل الإنسان يقترب من الميقات وقد عود قلبه ولسانه على ذكر الله وعقله على التأمل في ذات الله سبحانه وتعالى.

بعد لبس ثوبي الإحرام يجب على الحاج أن ينوي للحج ويلبي، دعنا ندخل إلى هذا العالم..

عالم النيّة:

أ- **النية:** عند الفقهاء أن يستحضر الحاج في قلبه (الإحرام العمرة التمتع لحج التمتع قربة لله تعالى)، لكنهم يفتون باستحباب التلفظ بها.

والتلفظ بها في جل العبادات بدعة، لأن محلها القلب، وهنا استثناء.

وهنا تدريب رائع، فإن إظهار ما في القلب على اللسان هو تأكيد لأهمية الخط الساخن بين القلب والجوارح.

وهذه العملية التبادلية يتميز بها المؤمن، إذ إنه لا يتحدث إلا بما في قلبه، كما أنه لا يؤمن بشيء ويمارس خلافه.

ب- النية والمحظورات:

وحين الإحرام يجب على الحاج -كما يفتي الفقهاء- أن يعزم على ترك المحظورات، لذا يجب عليه أن يستحضرها إجمالاً في ذهنه، لا تفصيلاً.

لماذا؟ لتحدث النفس بأنك أحرمت لله سبحانه وتعالى ودخلت إلى ساحته وضيافته الفعلية، كما أنك في مملكته التي لا يجوز تلويثها بالإثم.

وما أروع أن يستشعر العارف أن (الدنيا ملك الله فكيف يعصى الله في ملكه)؟

ج- بين الخوف والرجاء:

لو أن الإنسان أحرم ولم يلب لم يحرم للحج.

إن الحاج من حين خروجه من منزله يعيش الخوف والرجاء، فمن الممكن أن لا يوفق للوصول لمكة المكرمة بسبب وفاة أو عارض، والعياذ بالله،

لذلك فمن اللائق أن يستشعر الألطاف الإلهية في أنه مازال يعيش الرحلة الإلهية بتوفيق ومدد منه سبحانه .

د- التلبية هي البداية:

كما أن الميقات هو فاصل بين موضعين ماقبل وما بعد الحرم، كذلك التلبية، هي أول عمل تقوم به للدخول إلى ساحة الله وإلى أعمال الحج مباشرة.

والتلبية هي نداء التوحيد واستجابة لندائه:

(لبيك اللهم لبيك) اعتراف بالألوهية والربوبية.

(لبيك لا شريك لك لبيك) نفي الشركاء والأغيار.

فالتلبية توحيد لله، واستجابة لندائه. فإذا كانت التلبية هي الفاصلة الواصلة للدخول إلى عالم الحج، فإن التوحيد هو المحور. وسوف نستفيد كثيرا من هذه المحورية في حلقاتنا القادمة إن شاء الله تعالى.

(إن الحمد والنعمة لك والملك) فهي التجسيد العملي لمبدأ التوحيد.

فلما كان هو الإله الواحد الأحد، لم يستحق الحمد والثناء غيره، بل هو المالك الحقيقي، ونحن عبيد له يفعل بنا ما يشاء كيف يشاء.

(لا شريك لك لبيك) في كل ذلك: في التلبية والحمد والنعمة والملك، ومن أعطى غيره تعالى شيئا من أي منها فهو مشرك بالله شركا ظاهرا أو خفيا.

هـ - نموذج في الخوف والرجاء:

روى عن مالك بن أنس قوله: حججت معه - أي الصادق (ع) - سنة، فلما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلما همّ بالتلبية انقطع الصوت في

حلقه، وكاد أن يخر من راحلته، فقلت: قل يا ابن رسول الله، ولا بد لك من أن تقول. فقال: «يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول تعالى لي: لا لبيك ولا سعديك؟!».

و- الميقات في حديث الشبلي:

خاطب الإمام السجاد (ع) الشبلي قائلا: (أنزلتَ الميقات وتجردت عن مخيط الثياب و اغتسلت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين نزلتَ الميقات نويتَ أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا.

قال (ع): فحين تجردتَ عن مخيط ثيابك نويتَ أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا.

قال (ع): فحين اغتسلتَ نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا.

قال (ع): فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت.

ثمّ قال (ع): تنظفتَ، وأحرمت، وعقدت الحج؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويتَ أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا.

قال (ع): فحين أحرمت نويت أنك حرّمت على نفسك كلَّ مُحرم حرمه الله عز وجل؟ قال: لا.

قال (ع): فحين عقدت الحج نويت أنّك قد حللت كلَّ عَقد لغير الله عز وجل؟ قال: لا.

قال له (ع): ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج.

قال له (ع): أدخلت الميقات وصليت ركعتي الاحرام ولبيت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين دخلت الميقات نويت أنك دخلت بنية الزيارة؟ قال: لا.

قال (ع): فحين صليت ركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟ قال: لا.

قال (ع): فحين لبيت نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟ قال: لا.

قال له (ع): ما دخلت الميقات، ولا صليت، ولا لبيت.

الخلاصة:

- الحج ضيافة الله، ولا بد من مراعاة آداب الضيافة.
- الوثوق بالله أهم عوامل هطول الرحمة الإلهية.
- الميقات: باب الله الذي منه يؤتى.
- في الميقات: ترك للدنيا وزخارفها، ولبس للتقوى.
- النجاح في الميقات يعني اجتياز أول مراحل الامتحان الإلهي في الحج.
- بالنية والتلبية تدخل عالم الضيافة.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الثالثة

حرم الموحدين

حول هذا البيت كان الأنبياء يتعبدون

أسرار الحرم

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف صنف يعتق من رضا، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظ في أهله وماله ذلك أدنى مايرجع به الحاج».

سماحة الشيخ: بعد أن ينهي الحاج أعمال الميقات ويشرع في المسير لمكة المكرمة عليه أن يكشف عن رأسه ولا يستقل حافلة ذات سقف، ياترى ما السر في ذلك ؟

هذه الممارسة وأمثالها من أعمال الحج استمرار لدرس العبودية، والامتثال لأوامر الله عز وجل، وتوطين النفس على ممارسة ما تجهل سره وحقيقته.

فحينما يحرم الحاج ويلبي تبدأ لائحة المحظورات في التفعيل، فكما تفضلتم، يجب على الرجل أن لا يستتر عن الشمس بسقف متحرك، فلا يجوز له نهارا -باتفاق الفقهاء- أن يستقل الحافلة وهو محرم، وهو في الليل كذلك على رأي مشهور الفقهاء.

وهنا يحار العقل: لماذا هذا الحكم؟ لماذا لم يشمل النساء؟ ألا يرافق هذا العمل التعب؟

وفي المقابل: لماذا يراد للمرأة أن تُسفر عن وجهها، فلا يجوز لها تغطيته؟

كلها أسئلة تقفز أمام العقل، لكن القلب سرعان ما يمده بالسكينة، لأنه اعتاد على أن يتعبد في هذه المناسك، وأن يخضع نفسه أمام المولى تعالى.

وإذا أردنا أن نستوحي شيئا من هذا فيمكننا أن نقول: إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يأتي الحجاج إلى البيت الحرام وهم شعث غبر، هيئتهم هيئة من خرج من قبره مؤتزرا كفنه وملتفا به.

الأنثى ربما لا يُركز معها على هذا المبدأ لأن الروح الإسلامية والذوق الشرعي دائم الاهتمام بسترها، برعاية عفافها وحجابها وهذا لا يناسب هذا الحكم.

لمسات تربوية في الطريق إلى مكة المكرمة:

هل تعتقد أن هناك لمسات تربوية في هذا السلوك؟

اللمسة الأولى: الإقبال على الله عز وجل بما يحب.

اللمسة الثانية: الدخول في تجربة الحياة المتقشفة الزاهدة القاسية.

اللمسة الثالثة: تكرار تجربة الأنبياء (ع) الذين قطعوا الوديان والفيافي للوصول للأرض المقدسة.

الأرض المباركة:

دعنا نتحدث الآن حول سر اختيار مكة المكرمة لتكون مكانا لأداء فريضة الحج؟

تحدثنا في حلقة: أسرار الميقات، أن للزمان أهمية في الفكر الديني، وهنا نؤكد على أهمية المكان.

ولاكتشاف هذا الاهتمام، لا بد أن نربط بين مبدأين:

الأول: البركة.

الثاني: الأرض.

أما الأول: فلا بد أن نعلم أن «الله» هو مفيض البركة، ومعطي البركة، والمتكرم بها.

وكل ما يتصل به من «زمان» و «مكان» و «إنسان» و.. فهو مبارك، على أن يكون هذا الاتصال طريقا يوصل إلى التقرب إليه والبعد عما يكره، حينها يكون كل ذلك بركة ومنشأ لها.

كما أن الأرض ليست بعيدة في الفكر الديني عن الإنسان، فإن الإنسان أصله من الأرض، والأرض المساحة التي يغطيها بحركته ويعمرها بطاعته لله عز وجل.

الأرض + الإنسان = أداء الخلافة الإلهية.

والأرض التي تقام فيها الخلافة = أرض مباركة.

والأرض التي يعصى الله فيها = تسكنها الشياطين.

والنتيجة: إن ليلة القدر مباركة، لأنها زمان نزول الملائكة والروح ورفع الأعمال والمقادير للعباد، وزمن العبادة حتى مطلع الفجر.

ويوم عرفة مبارك لأنه يوم الابتهال والانقطاع إليه.

وبيت المقدس مبارك لأنه محط الأنبياء ومهوى الملائكة ومكان الإسراء.

مكة أرض الرسالات:

وهكذا، فإن بيت الله الحرام هو الموقع الأكثر بركة في عالم الوجود، فيه بيت الله، ومقام الأنبياء، وعبادة الصديقين، كما ستقرأ لأمير المؤمنين في نهج البلاغة وهو يتحدث عن العمق الروحي والتاريخي لهذا الحرم.

ألا ترى أن:

آدم حج سبعمائة حجة نصفها راكبا ونصفها الآخر ماشيا؟

نبي الله نوح - كما في الروايات- طاف في البيت العتيق؟

هود وصالح (ع) حجا على إبل حمر؟

وأن هذا البيت المبارك ثمرة دعاء الخليل (ع)؟

تعال معي لنقرأ هذا النص لأمير الكلام (ع) في (نهج البلاغة، ج٢: ١٤٦):

«ألا ترون أنّ الله سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم «صلوات الله عليه» إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع. فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياما، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا، وأقل نتائق الأرض مدرا وأضيق بطون الأودية بطنا ،بين جبال خشنة ،ورمال دمثة ، وعيون وشلة وقرى منقطعة. لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف، ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملقى رحالهم، تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة؛ حتى يهزوا مناقبهم ذُللا يهلون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له. قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا».

إذن: فهو امتحان إلهي بأن يعيش الإنسان دورة قاسية ينسى فيها نعيم الدنيا ويفكر فيها بقساوة الآخرة، وأهوال القيامة والوقوف بين يدي الله، لكن النتيجة هي: «جعله الله سبيلاً لرحمته ووصلة إلى جنته».

لكن أليس بإمكانه تعالى أن يجعلها في حدائق غناء، وجزر خضراء؟

يجيب (ع): « لو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام، بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جم الأشجار، داني الثمار، ملتف البنا، متصل القرى، بين برة سمراء، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراص مغدقة، ورياض ناضرة، وطرق عامرة؛ لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء».

ماهي الخصائص التي نتحدث فيها عن هذا المكان «أن لاتشرك بي شيئ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود» ؟

إن ممارسة القيام والركوع والسجود هي أحلى ممارسة عبادية في هذا المكان، وهي النداء الإلهي لإبراهيم الخليل (ع):

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ الحج: ٢٦.

لذلك فإن بيت الله الحرام هو بيت التوحيد، ورمز الحرية.

لنتحدث عن دخول المسجد الحرام، عن الجانب الأخلاقي، هل هناك أعمال معينة كأذكار ودعاء مثلاً ؟

لا شك أن الداخل لبيت الله الحرام يجب أن يستشعر الزخم الروحي الذي ذكرناه حتى يساعد هذا المعنى ويحفز نفسه إلى هذا المعنى.

هناك مستحبات عليه :أن يمشي بخشوع وهو متجه نحو البيت الحرام وحينما يصل إلى التوسعة لابد أن يزيد خشوعه حتى يصل وهو متهيئ نفسيا

وهناك دعاء دخول البيت الحرام ، هناك دعاء النظر إلى الكعبة المشرفة وهذه أدعية مستحبة، في الوقت الذي تُوجب الثواب الجزيل إن شاء الله تعالى، فهي توجب التحفيز النفسي الإيجابي بين يدي الله سبحانه وتعالى ؟

ففي الكافي (ج٤: ٤٠٣) رواية معاوية بن عمار عن الإمام الصادق (ع): «إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافيا على السكينة والوقار والخشوع».

و يروي أبو بصير - في المصدر نفسه - عن الإمام الصادق (ع): «تقول وأنت على باب المسجد: بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وما شاء الله، وعلى ملة رسول الله (ص)، وخير الأسماء لله، والحمد لله، والسلام على رسول الله، السلام على محمد بن عبدالله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ...».

والوصية الدائمة هنا:

على الحاج أن لا يقاتل حتى يدخل الحرم المكي، ولا يقاتل حتى يصل إلى الكعبة، لأنها تفسد عملية التحفيز، وربما تسبب في إيذاء المسلمين الطائفين.

خصائص الكعبة المشرفة:

الكعبة المشرفة أهم معالم هذا البيت الحرام، ما هي الميزة الروحية لهذا البناء؟

القرآن الكريم تحدّث عن الكعبة في أكثر من آية مباركة وتحدث عنها بشكل فني و رائع:

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ المائدة: ٩٧

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ الحج: ٢٦

إننا نستفيد من الآيتين المباركتين:

- الكعبة رمز العبودية واستمرار الدين.

روى الشيخ الصدوق (ره) في العلل، ج٢: ٣٩٦ عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) قال: «لا يزال الدين قائما ما قامت الكعبة».

- الكعبة محور التحرر والحرية.

إذا كانت العبودية لله وحده، فإن الإنسان حر من كل أحد، فهل يعقل أن يجعل نفسه عبدا لإنسان مثله أو لشهوة أو شيطان؟

إن الحاج حينما يتأمل هذا البيت الذي لا يملكه أحد إلا الله عز وجل، يرى نفسه مقبلاً عليه وحده دون سواه، أما بقية البقاع فقصدها قصد لأهلها بالتبع، كما هو واضح.

روى الصدوق في العلل، ج٢: ٣٩٩ في علة تسمية الكعبة بالبيت العتيق، عن أبان بن عثمان عمن أخبره، عن أبي جعفر (ع)، قال: قلت له: لم سُمي البيت العتيق؟ قال (ع): «لأنه بيت حر عتيق من الناس ولم يملكه أحد».

ويقول تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ .آل عمران: ٩٦ .

فالإنسان حر في قصده لهذا البيت، من كل أحد إلا الله، وهو في قصده يقصد صاحبه تعالى، من يفيض كل النعم.

وإن صحّ التشبيه فهو برج التوحيد العالمي، هو مركز التوحيد في العالم، وإذا كان هناك برج يفتخر به الأمريكيون، وهناك سور للصين عظيم يفتخر به الصينيون،فإن هذا البيت بيت للحرية في الإسلام وفي العالم كله.

ما الذي نستفيده من ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾؟

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البيت آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ إبراهيم: ٣٥.

وهذه الرسالة، رسالة الأمن والأمان في البيت الحرام، رسالة عميقة جدا يجب أن يعيشها المسلمون في تآلف وتجانس وفي سلام وأمن..

فنعمة الأمن هي النعمة التي تؤهل العابد أن يتعبد، والعاشق أن يناجي معشوقه ومحبوبه.

لذلك على كل من يخدم البيت الحرام، ومن يعمل فيه أن يشعر الحجاج بالأمن والأمان، وأن يمارسوا أسلوب الدعوة إلى الله بما لا يتنافى مع روحية السلم والسلام.

ما هو السر في تربيع الكعبة أي بنائها على أربعة أركان؟

روى الصدوق (ره) في (العلل، ج٢: ٣٩٨)، عن الصادق (ع): أنه سُئل: لم سميت الكعبة كعبة؟ قال (ع): «لأنها مربعة»، قيل له: ولم صارت مربعة؟ قال (ع): «لأنها بحذاء البيت المعمور، وهو مربع»، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعا؟ قال (ع): « لأنه بحذاء العرش، وهو مربع»، فقيل له: ولم صار العرش مربعا؟ قال (ع): «لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع، وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر».

هناك استحباب للنظر للكعبة بهيبة ومحبة ..ماهي الأبعاد التربوية من هذا الأمر؟

النظر إلى الكعبة عبادة، وحينما يتأمل الحاج في الكعبة، وهو يقرأ: «الحمد لله الذي عظمك وشرفك وكرمك وجعلك مثابة للناس وأمنا مباركا وهدى للعالمين»؛ يستشعر بأن هناك امتدادا عموديا نورانيا يمتدّ من هذه الكعبة إلى البيت المعمور، حينها يستشعر العظمة والهيبة.

وفي الحقيقة هناك بحث رائع في أسرار العين وعلاقتها بالقلب، فهناك معادلة معنوية دقيقة، إذ كل ما في القلب يبرز في العين، فيمكن اكتشاف حياة القلب أو مرضه أو موته من خلال العين، فـ «القلب مصحف البصر» كما يقول أمير المؤمنين (ع)، بل حتى الأعراض المرضية، يشير بعض الأطباء قديما وحديثا إلى قدرة التعرف على المرض من خلال العين وخصائصها.

وهنا أسأل: لماذا النظر إلى وجه الوالد طاعة له عبادة؟

لماذا النظر للبحر عبادة؟

لماذا النظر في وجه المؤمن والعالم عبادة؟

أظن أن العلاقة التبادلية التي أشار إليها أمير المؤمنين (ع) هي مفتاح الحل، فما يتلوه القلب يبرز على سطح العين، وما تتلوه العين يتأثر به القلب.

إن القلب حينما يصل إليه نور هذا البيت العتيق عن طريق العين، تتعمق روح التوحيد والأمن والأمان، والخصائص الروحية التي أشرنا إليها بشكل تلقائي.

والقلب الذي ينظر إلى والديه حنانا وحبا، تبرز هذه الشفقة والمحبة في بريق العين، وهكذا..

وهذه الممارسة العبادية للعين، محورها: ما يقرب إلى الله عز وجل، وهو كل ما يوصل إليه، وكل ما يعمق العواطف الإنسانية من خلال سلوك

العين وجميع الجوارح.

إن النظر للقرآن الكريم وآياته، والنظر في آثار الرحمة الإلهية المتوزعة في هذا العالم، كله يكسب صاحبه الهيبة والرهبة، لأن القلب ينكسر أمام النور الإلهي فيكسبه نورا..

الخلاصة:

- الحرم المكي عصارة تجربة التوحيد عند الرسالات، والعبادة فيه بكل خشوع مقدمة للمغفرة والإقبال على الله تعالى.

- الخصائص المكانية للبيت الحرام تعمّق درس العبودية، وتحمل السفر نحو الله تعالى.

- الأرض المباركة تؤثر إيجابيا في سعي الإنسان نحو الله.

- المشقة في الحج تقيس مقدار العبودية ومقدار العشق الإلهي.

- الكعبة رمز الحرية إسلاميا.

- هناك علاقة تبادلية بين: الإنسان والأرض والبركة.

القلب والبصر.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الرابعة

رائحة العبودية

من أستار الكعبة نشم الرائحة

أسرار الطواف بالبيت

أولاً: معالم البيت العتيق

نريد أن نأخذ جولة في معالم البيت العتيق، الكعبة المشرفة، وأركانها، لما تمثله من ذاكرة تاريخية، ومصدر للإمداد الروحي.

إن تفاصيل الكعبة المشرفة هي:

الحجر الأسود، الركن اليماني، الركن الشامي، الركن العراقي، ميزاب الرحمة، المستجار.

ومقام إبراهيم في جهة باب الكعبة المشرفة.

ولكل معلم من هذه المعالم قصة، نختصر أهمها في الفهرسة التالية:

الحجر الأسود/ الأبيض: حجر في الأرض، لكن مصدره الجنة! في تقبيله استنشاق لعبير الجنة.

فقد رُوي عن أبي جعفر الباقر (ع): «إن الله استودع إبراهيم (ع) الحجر الأبيض، وكان أشد بياضا من القراطيس، فاسود من خطايا بني آدم». (تفسير العياشي، ج١: ٥٩).

وفي سنن النسائي، ج٥: ٢٢٦ عن ابن عباس عن النبي (ص): «إن الحجر الأسود من الجنة».

فهذا حجر يفيض «بركة» ولو أنّا أجدنا التعامل مع البركة، عبر التاريخ، لمازال يرفد الناس كل الناس بالبركة والشفاء والاستجابة، لأنه من الجنة، إلا أنه الآن لا يعرف قدره إلا القليل.

من هم القليل؟ هم الذين يبايعون الله عنده، ويبايعون رسوله (ص) وأولياءه كلما حاذوه.

جاء في (الحج والعمرة في الكتاب والسنة، الشيخ الريشهري) عدة روايات في هذا الباب، فعنه (ص): «الحجر يمين الله في أرضه، فمن مسحه مسح يد الله».

والمصافحة: تسليم بالوحدانية، ومبايعة بعدم المعصية، لأن يمين الله كناية عن الفيض الذي يفيضه دون سواه، أما المبايعة بعدم المعصية فقد جاء عنه (ص): «فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله أن لا يعصيه».

الركن اليماني:

أ) هو الباب الذي ندخل منه للجنة، كما في عن الإمام الصادق (ع).

ب) تتسابق إليه الملائكة، فقد روى الصادق (ع): قال رسول الله (ص): «ما أتيت الركن اليماني إلا وجدت جبرئيل قد سبقني إليه يلتزمه».

ج) يستجاب عنده الدعاء، فعن الإمام الصادق (ع): «إن الله عز وجل وكل بالركن اليماني مَلَكا هجيرا يؤمّن على دعائكم».

أما المستجار: فيقع في غرب الكعبة، في الجهة الخلفية لبابها.

وقد حدد الإمام الصادق (ع) يقول :فإذا انتهيت إلى مؤخر الكعبة هذا

هو المستجار دون الركن اليماني بقليل».

وفي الكافي، عن الصادق (ع): «إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل، فابسط يديك على البيت، وألصق بطنك وخدك بالبيت، وقل: اللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار».

إذن هذا مقام الاعتراف وموضع الانفكاك من النار.

الملتزم: موقع الشفاء والاستجابة، وهذه الرواية تحدد الموقع والأثر، عن النبي الأكرم (ص): «بين الركن والمقام ملتزم، ما يدعو به صاحب عاهة إلا برئ».

ضمن الخصائص التي ذكرتموها للكعبة، هل ينعكس كل ذلك على فهمنا لسر الطواف؟

نعم، بلا شك، ويمكن التركيز على العناوين التالية:

- الطواف حول محور التوحيد: فهو مشابه للبيت المعمور المكتوب في أركانه: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، كلمات التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير، التي لا يجوز أن تكون إلا له عز وجل.

ويكفي أن يكون هذا البيت للواحد الأحد، لتنغرس في القلوب بذرة التوحيد.

وهنا لا بد من التركيز على البعد السلوكي والاجتماعي لهذا التمحور، والذي يمكن تلخيصه في مبدأ (التوحيد العملي)، الذي يعني: بروز هذه العقيدة على السلوك الإنساني، حيث كل حركة وسكون مرتبط بأوامره

تعالى، بل ومقربة له عز وجل.

أما في السلوك الجمعي، فهي تعبر عن رفض كل الرموز والشعارات التي تعبد من دون الله تعالى.

الولاء والبراء الاجتماعي، الشفاعة الاجتماعية، العلاقات كلها يجب أن تكون ضمن خصائص المجتمع الإنساني باللمسة الإسلامية، أما الخشوع لغير الله من الرموز الاجتماعية، فهو شرك ظاهر أو خفي.

- الطواف تشبّه بالملائكة: في الوقت الذي تطوف الملائكة حول البيت المعمور، البيت المتاخم للكعبة المشرفة؛ يطوف الطائفون العاشقون، فهم يستلهمون شيئا من النورانية الملائكية، وشيئا من الامتثال الملائكي.

- الطواف حول محور الوحدة: لأن البيت ملك لله، والله رب جميع المربوبين المسلمين، بلا فرق بين طائفة إسلامية وأخرى.

لذلك، نؤكد على أهمية احترام جميع المذاهب في هذا المكان المقدس، وأهمية اختيارات الشعارات التعبدية أثناء الطواف بما لا يعارض هذا المبدأ الاستراتيجي في الفكر الإسلامي.

- الطواف بالبيت صلاة، فالطهارة من الحدثين مطلوبة فقها، كما هي مطلوبة في الصلاة، والطهارة من أحداث القلب مطلوبة أخلاقيا، ليتحلى الإنسان بالروح الطاهرة تدريجيا في هذا الموسم الإبراهيمي.

- الطواف بالبيت في حديث الشبلي: حيث كان الإمام السجاد (ع) في مقام تعريفه بالآداب الباطنية للحرم:

(قال (ع): أدخلت الحرم، ورأيت الكعبة، وصليت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين دخلت الحرم نويتَ أنك حرّمت على نفسك كلً غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الاسلام؟ قال: لا.

قال (ع): فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنّك قصدت الله سبحانه؟

قال: لا.

قال (ع): فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت).

فالغيبة نموذج المحرمات التي حرّم الحاج على نفسه ارتكابها، وهي محرمة على (جميع أهل الإسلام) مما يستبطن الفكرة التي قدمناها.

- طواف العاشقين: وأسلوب الطواف حول البيت شبيه بحركة العاشق حول معشوقه، فهو لا يرى سواه. إذا كنا نتحدث عن العشق فليكن العشق الإلهي هو مدار حركتنا في الحب، ومدار حركتنا في الهيمان والعشق، مما يعني أنّ العاشق يبحث عن معشوقة في هذا الركن أو ذاك الركن من الكعبة، ومن ثم يتمسك بأستار الكعبة لعله يجد شيئا من روحانية معشوقه.

تحدثتم كثيرا عن مفهوم الحرية، وما يمثله البيت العتيق من قاعدة لهذا المفهوم، حدثنا باختصار لتعميق الفكرة.

حرية الإنسان مستمدة في الفكر الإسلامي من الحرية التي يعطيها الله سبحانه وتعالى للبشر.

إن الحرية التي يعطيها الله للإنسان ليست حرية مطلقة، وهذا متأصل في الفكر الإسلامي من خلال تشريع الله لمجموع تشريعات ربما تكبح غرائزه وأهوائه وشهوته، مما يعني: حينما يلتفت الإنسان إلى التمحور حول الله فإنه لابد أن يستمد من هذه الفكرة مبدأ (الحرية التوحيدية).

فهي حرية مقيدة، بهذه التشريعات والآداب التي تكمل مشروع صناعة

الإنسان بشكل إلهي، وهذا مضمون مادام المشرّع هو الخالق، العارف بخصائص هذا الإنسان، وما الذي ينفعه ويضره.

ولا يمكن لأحد، على مستوى الواقع، أن يؤمن بالحرية المطلقة، فحتى من يؤمن بها نظريا، يخالفها عمليا، حينما يفرق على المجتمع الإنساني مجموعة قوانين وضعية لحفظ نظامه.

أنت حر بقيود فلا تستطيع أن تتجاوز عقلك في تفكيرك، يعني أن عقلك حر في أن يفحص عن مذهبك أين هو المذهب وأين هي الفرقة الناجية إن كنت تبحث عن هذا الجانب فالحرية الإلهية أعطت الإنسان الحرية العقلية التامة، لذلك نحن نقول: إن التقليد في أصول الدين الأساسية غير صحيح، ولابد لك أن تجتهد في البحث عنها.

وهكذا فإن الحرية الاجتماعية مقيدة بعدم التعدي على الآخرين. في ظل السقف القانوني الذي قدمه الشارع الأقدس.

كيف يستطيع الحجاج الاستفادة من موسم الحج خصوصا في هذا العام أمام هذه التحديات والتحولات الخطيرة التي تشهدها الأمة الإسلامية؟

علينا أن نلتفت لكل ما قلناه في أسرار الحرم الآمن والطواف حول البيت العتيق، لكي نرى أننا كمسلمين سواسية في الأمن والعبادة، الأمن بكل معانيه: الفكرية والاجتماعية والسياسية، والعبادة بكل طقوسها.

ما السر في تحديد أشواط الطواف بسبعة أشواط؟

الطواف سبعا أمرٌ تعبدي قد يخفى علينا الكثير من تفاصيله، لكننا نستطيع الاستيحاء أنها تشبه بـ: طبقات السماء السبع أو طبقات الأرض السبع، ففي كل طواف ربما تجتاز طبقة من طبقات السمو والمعرفة حتى

تصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى.

وربما أهل (علم الحروف) يستكشفون خصائص أخرى للرقم (٧) على طريقتهم ومنهجهم.

يوجب الفقهاء صلاة ركعتين بعد الطواف مباشرة، هل هناك حكمة بالإضافة إلى الحكم التعبدي؟

إن صلاة ركعتين بعد الطواف، وبدون فاصل عرفي، ربما يشعر بأن الصلاة مما يكتمل بها الطواف، وكأنهما فصلان، لمشروع واحد.

فبعد الحركة الدائرية حول الكعبة بكل ما تحمل من روحانية وتمحور، يقترب الطائف من الله أكثر من خلال قيامه وركوعه وسجوده.

وفي الوقت الذي يستذكر مشروع الأنبياء (ع) أثناء طوافه؛ يستذكر المشروع الإبراهيمي حين يصلي خلف (مقام إبراهيم) الذي دشن الحنيفية الغراء.

في الأخير، نود الحديث عن علاقة الولاية العلوية بالولاية الإلهية، من خلال الطواف بالبيت.

البيت الحرام احتضن عليا (ع) وليدا، ليكون مباركا حين ولادته، واختارته السماء شهيدا في بيت الله في الكوفة ليكون مباركا حين استشهاده، ومسيرته الطاهرة تشهد ببركة كل آنات حياته.

لذلك لا شك أن الطائف يستذكر لحظات ولادة علي (ع)، وبها يستذكر ارتباط الولاية العلوية بالنبوية وتمثيلهما للولاية الإلهية، فهما مظهران للولاية الإلهية، ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

تنبيهات:

١) لا شك أن استلام الحجر الأسود، وأركان الكعبة المشرفة فيه فضل كبير، وثواب جزيل، كما ذكرنا، لكن ماذا نفعل مع الزحام، هذا السؤال جاء على لسان أهل البيت (ع).

ففي (الكافي في باب: المزاحمة على الحجر الأسود، ج٤: ٤٠٤) أدرج الكليني (عليه الرحمة) عدة روايات، منها:

معاوية بن عمار عن الصادق (ع): «كنا نقول: لابد أن نستفتح بالحجر ونختم به، فأمّا اليوم فقد كثر الناس».

وسئل الرضا (ع) عن الحجر الأسود، وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا؟ قال (ع): «إذا كان كذلك فأوم إليه إيماءً بيدك».

لذلك لا بد للحجاج الكرام أن يكونوا زينا لآل محمد (ص)، ومظهرا من مظاهر أخلاقهم العالية.

الخلاصة:

- الاهتمام بمعرفة أسرار المكان يحفز العابد الواله.
- الطواف يمثل الدوران حول التوحيد، والانطلاق منه.
- الطائف بالبيت يتشبه بالملائكة، فإذا أخلص نافسهم في العبودية.
- الطواف بالبيت العتيق يلهم «الحرية».
- الولاية الإلهية مع الولاية العلوية تتمازجان في مسيرة الطائف.

الحمد لله رب العالمين



الحلقة الخامسة

زمزم المحبة

نصلي ركعتين ونغتسل بماء المحبة

أسرار مقام إبراهيم والصلاة خلفه

بعد هذه الرحلة الملكوتية حول البيت، يجب على الحاج أن يصلي ركعتين خلف المقام، ما هي الارشادات الفقهية والأخلاقية لهذا المنسك؟

هذه الصلاة يجب أن تكون بعد الطواف مباشرة، من دون فاصل عرفي، على أن تكون خلف مقام إبراهيم (ع).

وهنا جملة إرشادات:

الأول: المقصود بالخلف، الجهة الخلفية عرفا بحيث يكون مقام إبراهيم (ع) أمام المصلي، وهنا نؤكد أن مع وجود الزحام والطائفين، يستحسن للحاج أن يتراجع، حتى لا يتأذى أو يتأذى الطائفون من وقوفه، خاصة لو كان مسورا بالحجيج الكرام، وهذا التوجيه للنساء بشكل آكد وأشد.

الثاني: يجب أن تقع الصلاة صحيحة، في جميع أركانها وواجباتها، لذا يهتم المرشدون بسلامة القراءة بالنسبة للحجاج.

الثالث: إنَ الصلاة خلف مقام إبراهيم (ع) نوع تكريم لهذا العمل التوحيدي الذي مارسه إبراهيم وابنه اسماعيل (ع)، فعندما تقترب من المقام تجد آثار قدمي خليل الله إبراهيم (ع) منغرسة في الأرض إثر رفعه إسماعيل (ع) أثناء بنائه البيت العتيق.

وهنا نستوحي أهمية شد الهمة على الطاعة التي هي مظهر التوحيد الحقيقي، بحيث تنطبق عليه كلمة أمير المؤمنين (ع): «تد في الأرض قدمك، أعر الله جمجمتك» كناية عن الثبات والتضحية في هذا الخط.

الثالث: كل جهات الكعبة قبلة، كما هو متسالم عليه بين جميع المسلمين، لكن خصوص اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، يعني الاهتمام بالجهة الإبراهيمية الحنيفية السمحاء، والتي يعتبر نبينا الخاتم (ص) خلاصتها وخاتمتها. والوفاء لهذه الجهة وفاء للنبي الخاتم (ص).

كما أن هذا الوفاء يمثل استجابة لدعائه (ع): ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات . . ﴾ .

ودعائه: ﴿ربنا وجعلنا مسلمين لك﴾ .

والامتداد إلى الخاتم (ص) هو غاية المسألة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ .

كيف يمكن لنا أن نتشبه بهؤلاء المعصومين (ع)؟

التشبه بإبراهيم الخليل (ع) ونبينا المصطفى (ص) يتجسد في إزالة أصنام النفس من عرش القلب.

إبراهيم الخليل (ع) استعان بابنه إسماعيل (ع) لبناء البيت، والخاتم (ص) استعان بابن عمه علي بن أبي طالب (ع) في إزالة الأوثان من الكعبة المباركة، فالأولان بنيا البيت، والآخران أزالا عنه ما يلوثه.

وبيوت قلوبنا ملوثة، لا بد أن نصعد على كتف العزيمة والإرادة لنكسر أوثان: العصبية، الهوى، العجب، الغيبة، وكل جذور المعاصي المتمثلة في الطبائع السلبية داخل النفس المظلمة.

إن إزاحة الأصنام تمثل إشراقة النفس وولادتها من جديد.

وهذا ما ينبغي على المصلي أن يدركه.. لك، كيف له أن يدرك كل ذلك وهو مشغول بالدنيا، وبالزحام حول بيت الله عز وجل؟

يفتي الفقهاء بعدم جواز الدخول إلى حجر إسماعيل (ع) أثناء الطواف، فما السر في ذلك؟

هنا نظريتان، وكلتا هاتين النظريتين انطلقتا من خلال فهم الروايات التاريخية، التي تحدثت عن كيفية نقل الحجر الأسود:

الأولى: إن حجر إسماعيل(ع) هو جزء من الكعبة، فإذا كان كذلك، والمطلوب منا أن نطوف حول الكعبة وليس بداخلها أو عليها.

والنتيجة تكون: لا يجوز الطواف داخل الحجر، لأن المأتي به غير المأمور به شرعا.

الثانية: إن حجر إسماعيل ليس من الكعبة، لكن النهي عن الطواف داخله نهي تكليفي شرعي، والروايات تحدثت عن أنه مقبرة لأنبياء الله(ع)، وغير المعهود عند الشارع أن يجعل قبور أنبياء الله مطافا.

فقد روى الكليني في (الكافي، ج٤ : ٢١٠-٢١٤) عدة روايات تدل على ذلك، منها:

ما رواه عن أبي جعفر (ع): « وإن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وإن آدم لفي حرم الله عز وجل».

وعنه (ع): «وهذا مصلى شبر وشبير ابني هارون».

سماحة الشيخ دعنا نتحدث عن ميزاب الرحمة، ماهي فلسفته؟

ميزاب الرحمة يهتم به الطائفون عندما تكون السماء غائمة، لأن في الروايات أشارت لاستحباب أن يستلم الحاج قطرات السماء النازلة من ميزاب الرحمة.

وسُمي ميزاب الرحمة؛ لأن الرحمة الإلهية تتقاطر منه.

ولعلّ هذا المطر يكون سلامة لأجسادهم، وهذه الرحمة سلامة لأرواحهم، ومزيلة عنها الأدران الباطنية والداخلية التي يُبتلى بها الإنسان.

حدثنا عن الشاذروان ...لماذا لا يجوز الطواف عليه ...ماهي شروطه؟؟

الشاذروان هو المنطقة النازلة أو المسطحة من الكعبة المشرفة، وبالتأمل السريع يتبين سر عدم جواز الصعود عليه حين الطواف، لأنه جزء من البيت، بل الشاذروان أساسه وقاعدته.

وهذه الرؤية تعتمد أمثال هذه القصة التي رواها الشافعي في كتاب الأم، ج٢: ١٥١، وهي:

(أن السيل هدم الكعبة قبل مبعث النبي (ص) بعشرين سنة، فأعادت قريش عمارتها على البنية التي هي عليها اليوم، ولم يجدوا من الأموال الطيبة ما يفي بالنفقة، فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وأخروا الركنين الشاميين عن قواعد إبراهيم (ع) وضيقوا عرض الجدار الذي بين الركنين الأسود والشامي الذي يليه، وبقي من الأساس شبه الدكان الذي كان مرتفعا وهو هذا الذي يسمى شاذروان).

لكن هذه القصة منافية لما رواه والصدوق (ره) في (من لا يحضره الفقيه) في أول أبواب الحج، قد روى هذه العبارة:

«وما في الحجر شيء من البيت ولا قلامة ظفر». وقد أشار إلى هذا المعنى السيد زين العابدين بن نور الدين الحسيني الكاشاني، من أعلام القرن الحادي عشر في كتابه: مفرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام.

دعونا نتحدث عن ماء زمزم.. يستحب لمن أنهى طوافه وصلاته أن يرتشف من ماء زمزم. كيف نفهم هذا الاستحباب؟

ماء زمزم هو الماء النابع ببركة إسماعيل (ع) عندما كان يعفر قدميه بكاءً وعطشا.

ومن ذلك الحين أصبح ماء زمزم شفاءً وعافية، وكما في الخبر: «زمزم شفاء لما شُرب له».

فحينما تشرب من ماء زمزم لأجل التداوي فإنك تشفى بإذن الله تعالى.

وحينما تشرب من ماء زمزم لطلب البركة، فإن البركة تحل عليك وعلى جسدك، بحول الله وقوته.

ومن دروس التاريخ نشير إلى ما أحياه عبدالمطلب في هذا الموقع، فبعد أن اندرس موقع ماء زمزم، بفعل التراكمات التاريخية، جاء جد المصطفى (ص) وأمر بإعادة حفر البئر، لتكون من بين السنن الميّتة التي أحياها (ع).

وكانت ضمن السنن التي أحياها الإسلام، منضمة لأخواتها التي كان يواظب عليها عبدالمطلب، كالترفع عن شرب الخمر، وأخذ خمس أرباح المكاسب وغيرهما.

وما أروع ماء زمزم!

فبعد أن يتعب الإنسان من طوافه وعبادته، يشعر بأن روحه تعبت، وجسده تعب، فيبحث عن هذا الماء الصافي، لعله يستجمع قواه من جديد، لينطلق إلى السعي بين جبلي الصفا والمروة.

عند سكب الماء، يشعر الحاج باعتدال المزاج، وهدوء الروحانية، وصفاء النفس، فما أحلى هذه اللحظات.

سماحة الشيخ: هل يمكن أن تكون الخاتمة في عرض مختصر لمنهج البحث التاريخي في سيرة الأنبياء، مادمنا تحدثنا عن الرابط بين نبينا المصطفى (ص) والخليل إبراهيم (ع).

الفكرة بإيجاز: إنّ حوادث الأنبياء هي حوادث مترابطة وليست منفصلة، وتسير على قوانين وسنن ثابتة، ونحن بتلك القوانين والسنن لابد أن ندرس حياتهم وتجاربهم، ولابد لنا ان نتأمل لعلنا نسير على خطاهم في الحج والعمرة وفي الصعود لله سبحانه وتعالى وبالدعوة إليه من خلال هذه المناسك.

إن التأمل في سيرتهم بشكل مترابط، يعني وجود أهداف عليا مشتركة، وخطط تنفيذية متفاوتة حسب ظروف كل نبي، أما تلك الأهداف المشتركة فقد تحدث عنها القرآن الكريم: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾، وما يهمنا هنا التركيز على السير على نهجهم، والدعوة في طريقهم.

الخلاصة:

- نبينا الخاتم (ص) هو خلاصة التجربة التوحيدية للخليل (ع) وجميع النبوات.

- إن إزاحة أصنام النفس تمثل اقتداءً عمليًا بأبينا إبراهيم (ع) ونبينا الخاتم (ص)، حين أزاح أصنام الكعبة.

- إن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى يعني: التوجه الخالص على الطريقة الإبراهيمية.

- عند ماء زمزم يستعيد الحاج نشاطه المعنوي، لينطلق لبقية المناسك.

الحمد لله رب العالمين

الحلقة السادسة



التطوف بالصفا والمروة طريقة السائلين

أسرار السعي بين الصفا والمروة والتقصير

يقول مولانا الصادق عليه السلام: «ما لله عزوجل منسك واجب أحب إليه من موضع السعي، لأنه يذل فيه كل جبار عنيد»، ويقول تعالى: «إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوف بهما».

ماذا يعني التطوف في الآية المباركة؟

إن التطوف في هذه الأية يراد به: السعي بينهما، أي بين الجبلين، ولعلَ التعبيربالتطوف بصيغة المبالغة للإشارة إلى شدة التعب الناتج من السعي.

لا شك في وجوب السعي بين الصفا والمروة، فما المقصود من قوله تعالى: (فلا جُناح عليه..)؟

ظاهر هذه الآية المباركة هو: رفع البأس، أي أن العمل بنظر الشارع لا يترتب عليه مفسدة، لكن معرفة الجو التاريخي الذي نزلت فيه الآية المباركة يكشف لنا عن المراد الجدّي لها.

فقد كان في أذهان المسلمين أن التطوّف بهذين الجبلين أمرٌ ممنوع، لا يحبه الشارع المقادس، لوجود صنم أو أصنام على الصفا والمروة، فحينما بدأ النبي صلى الله عليه وآله « مناسك حجه وعمرته قام أحد المسلمين وامتنع

أن يطوف بينهما، لأنه شعر بالحساسية وبالحزازة النفسية، فكيف يطوف على جبل كان فيه صنم؟

ولرفع هذه الحساسية جاءت ﴿فلا جناح عليه﴾، ولترفع توهم الحظر هنا.

وقد جاء في بعض رواياتنا أن بعض المسلمين كان يعتقد أن السعي بين الصفا والمروة من صنع المشركين، فنزلت الآية المباركة لرفع الحساسية المترتبة على ذلك الاعتقاد.

إذن :السعي بين الصفا والمروة منسك من المناسك سواء كان على مستوى العمرة أو على مستوى الحج، وهذا أمر متفق عليه بين فقهاء المسلمين.

هناك حركة دؤوبة بين الجبلين، وكأن الحاج يبحث عن حاجة فلا يحصل عليها عند الأول فيسعى للجبل الثاني، ما هي الآثار التربوية لهذا العمل على الحاج؟

السعي بين الصفا والمروة هو الواجب الثالث من واجبات المسجد الحرام، في العمرة أو الحج، فبعد أن يطوف الحاج ويصلي ركعتين؛ يتجه نحو الصفا ناويا السعي إلى المروة سبعة أشواط قربة لله تعالى، والقربة هنا مقوم لصحة العبادة، فلا عبادة بلا نية قربة.

لذلك ما نجده من حث على ظاهرة (السعي) و (الحركة) ليس مفرغا من مظاهر العبودية، والتعبئة الروحية، لأن السعي يؤتى به تقربا لله تعالى.

وهذا تدريب على النشاط والهمة والحيوية، لتكون ديدن الإنسان في

حياته اليومية وفي كل أفعاله، والله عز وجل يحب «المؤمن القوي» كما أن المؤمن بطبعه، كما يقول أمير المؤمنين (ع): «عالي الهمة».

وفي العادة نُلاحظ أن الحجاج والمعتمرين يتعبون أكثر مايتعبون في السعي، خاصة حينما لا تكون اللياقة البدنية متوفرة..

والسعي يوفر اللياقة البدنية بشكل قهري للتهيؤ للأعمال اللاحقة.

إنّ هاجر (ع) كانت تسعى بين هذين الجبلين بحثا عن الماء، والآن في الوقت الحاضر الحاج عمّ يبحث؟

نستطيع أن نستوحي الكثير من كلام الإمام السجاد (ع) في حديثه للشبلي، فقد كان يتحدث بلغة رائعة: «هل سعيت بين الصفا والمروة وقصرت؟».

قال: نعم

قال (ع): «هل تذكرت بأنك تسعى بين خوف الله ورجائه؟». قال: لا

قال (ع): «إذن فما سعيت».

لو اجتهدنا وقلنا عين تلك النتيجة - على فرض عدم وجود رواية - لكان أمرا مُستغربا، لكنها نتيجة معقولة في عالم العلاقة بالله تعالى.

البحث عن الحقيقة:

إن الحاج في هذا المسعى يبحث عن شيء أحلى من الماء واصفى ألا وهو العشق الإلهي، الرضا الإلهي، الرزق الإلهي، كل حسب اسلوب إقباله على الله عز وجل.

وفي العمق، لما كان التطوّف بينهما عبارة عن التردد بينهما، كانت الإشارة الرائعة للإمام السجاد (ع) بضرورة أن يعيش الحاج حالة التوازن

بين (الرجاء) في رحمة الله وفي بحثه عن الحقيقة الصافية، وبين (الخوف) في أن ينتهي إلى آخر الجبل ولم يعثر على شيء.

إن هذه الشعيرة تكمل مشروع (هندسة التوازن) التي تحدثنا عنه في الحلقة الأولى من هذا الكتاب.

وينضم إلى هذا التردد بين (الخوف) و (الرجاء) تردد آخر، تشير إليه بعض الروايات، وهو بين (الموت) و (الحياة).

في الرواية عن زرارة بن أعين، سألت أبا جعفر (ع): كيف يقول الرجل بين الصفا والمروة؟ قال (ع): «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، ثلاثا». الكافي، ج٤: ٤٣٢.

صحيح أن هاجر كانت تتردد للبحث عن الماء ، وأنا أتردد للبحث بين صفتي الخوف والرجاء أو الموت والحياة، لكن حتى يؤتي هذا التردد أو التوازن أثره لا بد أن يكون (الوثوق) بعطاء الله هو في المقدمة، لتكون حركة الطائف حركة إيجابية نحو السماء.

السعي الحقيقي:

- من الميزات الحركية التي يستبطنها التطوف بين الصفا والمروة هو تنمية روح (السعي) عند الحاج، السعي المعتمد على قوة العضلات المنبعثة من عمق الإرادة الإنسانية، والمتكلة على الخالق عز وجل.

- إن سعيا كهذا من شأنه أن يهدّ الجبالَ لو أراد، ومن شأنه أن يستسهل كل الصعاب في سبيل تحقيق الهدف، وهذا ما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه، فإن «قيمة كل امرئ ما يحسنه» كما يقول أمير الكلام (ع).

- إن هذه الروح كما تعتبر المقدمة الأساسية للنشاط، هي مقدمة للإبداع أيضا، لأن المبدع يجب أن لا يقف عند المألوف، بل هو في حركة وسعي

دائم، حتى يقف على ما يميزه عن الآخرين، وهذا هو عمق الإبداع.

- كما أن هذا السنخ من (السعي) يلغي -عمليا- التواكل المرفوض في ثقافة أهل البيت (ع)، والذي يعتمد فيه الإنسان على الغيب من دون أي حركة نحو الهدف المنشود.

- إن المؤمن الدائم السعي لا يتوقف لعدم حصوله على النتائج السريعة، بل يكون سعيه المستبطن لنية القربة لله عز وجل موقدا للاستمرار، «فلعّل الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي لعلمك بعاقبة الأمور».

- وقد نفهم التردد بشكل آخر، وذلك حين يكون معلولا للهرب، فعن الصادق (ع): «صار السعي بين الصفا والمروة لأن إبراهيم (ع) عرض له إبليس، فأمره جبرئيل (ع)، فشده عليه فهرب منه، فجرت به السنة».

وكأن الساعي يهرب من هوى نفسه، ومن الشيطان الرجيم، ملتجئا إلى الله عز وجل.

بعض الروايات تحدثت أن السعي من أحب بقاع الأرض لله عز وجل، ما السر في ذلك؟

نعم، في رواية أبي بصير: سمعتُ أبا عبدالله الصادق (ع) يقول: «ما من بقعة أحب إلى الله من المسعى؛ لأنه يُذل فيه كل جبار». الكافي، ج٤: ٤٣٤.

و(التجبّر) عنوان يبغضه الله عز وجل، لأنه تحدٍّ له تعالى، أو تشبه بجبروته عز وجل، بالرغم أن الإنسان لا شيء بدون الله تعالى، بل هو متعلق بقدرته على الدوام.

وبكلمة: إن السعي والهرولة تذويب للذات المتضخمة بين يدي الله تعالى، وتصغير لها بين يدي خالقها.

على ضوء ما ذكرتموه من مضامين عالية، كيف يمكن لشعيرة «السعي» أن تنعكس في المجتمع، خصوصا مع ظواهر اليأس والقنوط من رحمة الله، وتسرب ظاهرة الانتحار؟

إن الإقبال على الله أثناء أداء هذه المشاعر يؤدي إلى نجاح (هندسة التوازن بين الخوف والرجاء) الذي ينتجه السعي.

فاليأس الباعث على الانتحار راجع إلى فقدان التوازن داخل الشخصية المسلمة، وعدم ثبات المؤشر في تردده بين رحمة الله تعالى والمشاكل الهائلة التي ربما تسقط على الإنسان، فيشعر بأن الأبواب كلها مؤصدة في وجهه.

بينما نجاح تجربة التوازن تعيد للإنسان الحياة المتفائلة من جديد، وتصنعه إنسانا إيجابيا، قافزا على سلبيات الحياة.

وهذا سيبدو واضحا عند التأمل فيما قدمناه في السطور القليلة الماضية.

وسر تعداد أشواط السعي إلى سبعة، أن هاجر زوجة الخليل إبراهيم (ع) لم تيأس من المرة الأولى، ولم تكن سلبية بعد رأت سرابا فحسبته ماءً، بل بكل طاقة الإيمان حاولت البحث من جديد، وهذه قصة الأمل في الحياة.

سر التقصير:

في الرواية عن أبي عبد الله (ع): «إذا فرغت من سعيك وأنت متمتع؛ فقصّر من شعرك من جوانبه ولحيتك، وخذ من شاربك، وقلّم أظافرك، وأبقِ منها لحجك، وإذا فعلت ذلك فقد أحللت من كلِّ شيء يحل منه المحرمُ وأحرمتَ منه». حدثنا سماحة الشيخ عن أسرار التقصير.

نعم، يجب على الحاج أن يختار التقصير بعد السعي، لأنه في القسم الثاني من حج التمتع سيحرم من جديد، وفي اليوم العاشر من ذي الحجة سيخير بين التقصير والحلق، وهذا معنى قوله (ع): «وأبقِ منها لحجك».

ويمكن أن نستوحي من هذه العبادة: أن الله عز وجل أراد للحاج بعد هذه الجولة المجهدة أن يرتاح ويتنظف بعد التقصير، فالراحة تتم، إذ إنّه خرج من دائرة المحظور إلى دائرة المباح.

وفي هذا يشترك التقصير والحلق.

ومن أسرار هذه الشعيرة ما روي عن مولانا الصادق (ع) في ذكره لبعض أسرار الحج: «واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك».

الخلاصة:

- السعي بين الصفا والمروة تدريب على:

أ- الحركية الدائمة بنية التقرب لله تعالى.

ب- التوازن النفسي بين الخوف والرجاء.

ج- الهرب من الشيطان إلى الله عز وجل.

- التقصير استراحة الحاج، وفيه ترك العيوب والتخلي عنها.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة السابعة

أرض المعرفة

الحجُّ عرفة

أسرار عرفة

مقدمة:

بعد أن انتهينا من عمرة التمتع وهي الجزء الأول من الحج، سماحة الشيخ كيف تكون بداية القسم الثاني؟

بعد أن ينتهي الحاج من أعمال عمرة التمتع يبدأ الجزء الثاني من أعمال حج التمتع إذ إن حج التمتع كما هو معلوم يتركب من جزأين ، الجزء الأول المسمى بعمرة التمتع والجزء الثاني المسمى بحج التمتع.

ونحن نعلم من خلال الروايات المباركة أنّ حج التمتع أفضل من حج الإفراد ومن حج القران، وعلى هذا روايات كثيرة من أهل البيت (ع).

مثال ذلك ما رواه أبو أيوب الخزاز، قال: سألت أبا عبدالله (ع) أي أنواع الحج أفضل؟ فقال (ع): «التمتع..».

وقد جاء وجه الأفضلية في رواية حفص بن البختري، عن أبي عبدالله (ع) قال:

«المتعة واللهِ أفضل، وبها نزل القرآنُ وجرت السنة». الكافي، ج٤: ٢٩٢.

بداية الحج:

يبدأ الحج بالنية؛ نيّة الإحرام مجددا، فإذا جاء يوم التروية يستحب

له فيه أن يحرم لحج التمتع، فيستحب للإنسان بعد الزوال بعد صلاة الظهر يوم الثامن من ذي الحجة أن يحرم لحج التمتع من مكة المكرمة وينوي كما نوى المعتمر وأحرم لحج التمتع قربة لله تعالى.

وهنا نستحضر كل ما قلناه في أسرار (النية) و (التلبية).

الحج عـرفة:

سماحة الشيخ: تمهيدا للدخول إلى عالم (عرفة)، ما هو السبب في تسميتها؟

يقول الإمام أحمد المرتضى، وهو أحد أعلام المذهب الزيدي، في كتابه: رجال شرح الأزهار، ج٢: ١١٥: (قيل: وفي تسمية عرفة بهذا الاسم وجوه أربعة:

أحدها: أن آدم وحواء أهبطا مفترقين فالتقيا في عرفات.

الثاني: أن جبرئيل (ع) كان يُري إبراهيم (ع) المناسك، فلما بلغ الشعب الأوسط الذي هو موقفه (ع) قال: أعرفت؟

الثالث: أن ذلك مأخوذ من قولك عرّفتُ القوم المكان إذا طيبته، فسميت بهذا الاسم لشرفها وطيبها.

الرابع: أن إبراهيم (ع) عرف الصواب من رؤياه في ذلك اليوم).

ونقل الصدوق (ره) في كتابه: العلل،ج٢: ٤٣٦ رواية عن معاوية بن عمار قال: سألتُ أبا عبدالله (ع) عن عرفات لم سُميت عرفات؟ فقال (ع): «إنّ جبرئيل (ع) خرج بإبراهيم (صلوات الله عليه) يوم عرفة، فلمّا زالت الشمسُ قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك، فسميت عرفات، لقول جبرئيل (ع): اعترِف، فاعترف».

والجامع لهذه المعاني: المعرفة والاعتراف وطيبهما.

أما المعرفة، فهي الشاملة لـ(معرفة الله) و (معرفة المكان).

وأما الاعتراف، فهو الاعترف بالذنب بين يدي الله تعالى، طلبا للتوبة.

وكلاهما يبعثان الطيب والرائحة الزكية داخل قلب المؤمن.

لكن ماذا يعني أن ابراهيم النبي (ع) يعترف بذنبه؟

دقق معي:

إن ذنب كل إنسان بحسبه.

فذنوبي لا حدّ لها، واعترافي بها اعتراف الإنسان العاجز عن التوبة إلا بتوفيق الله عز وجل.

أما ذنب المعصوم (ع) فيتحقق بترك الأولى حين يمارس الأقل أولوية، وبترك الأهم حين يشتغل بالطاعة بعمل المهم.

ولعل من ذنوب المعصوم (ع) أنه في عملية ارتقائه الدائمة نحو المطلق تعالى يرى نفسه أنّه كان محروما من الدرجة العالية التي هو عليها الآن! إنها مقامات سامية.

ثمّ، لم يكن غاية غرضهم (ع) أن يبرزوا كقدوة فقط حين الاعتراف بالذنوب بالطريقة التي شرحناها، وإلا فبماذا نفسّر البكاء الغزير للمعصوم (ع)، وبماذا نفسر السجود الرهيب لأمير المؤمنين (ع)؟

إن وصولهم لمقام العصمة يلازمه قرب عجيب من الله عز وجل، هذا القرب يلازمه مناجاة حارة ساخنة صادقة، تهطل فيها الدموع وينكسر فيها القلب، ويبقى الأمير (ع) وهو ساجد كالصخرة اليابسة.

إذن: ذنوبهم من سنخ آخر، لو تحقق لنا منها القليل لكانت لنا من المنجيات المقربات.

كما أن مناجاتهم غير دعائنا، ببركة المرتبة العالية التي يعيشون فيها.

دعنا نقدم صورة حول الموقف الأخلاقي والروحي لهذا اليوم المبارك العظيم.

المعرفة التوحيدية أولاً:

حينما ننطلق من المعرفة فإنه لابد لنا أن ننطلق في المعرفة التوحيدية التي هي محور كل المحاور التي استندنا إليها في قراءتنا الأخلاقية والأسرارية لأعمال الحج.

وتجسدت هذه المعرفة في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين (ع) حين ناجى الله سبحانه وتعالى بالدعاء المعروف والمنسوب له، وهو دعاء عالٍ في مضامينه، راقٍ في أسلوبه، حيث نجد أن المحور الذي يقوم عليه هذا الدعاء أنّ يوم عرفة هو يوم معرفة الله معرفة حقيقية، سواء كانت معرفة عن طريق العقل أو عن طريق الشهود.

تأمّل في هذا المقطع من مناجاته (ع):

«كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك؟، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا».

إنه يتحدث بمعرفة شهودية يرى الله من خلالها في كل شيء، بل الله هو الدليل عليها لشدة ظهوره، ومن هنا كان الاستدلال بالعكس خطأ عند هذا العارف.

فهل هناك معرفة توحيدة أجمل من هذه المعرفة؟

هذه المعرفة تولد مستوى عال من العصمة، لأن الله حينئذ ظاهر في كل حركة وسكون، والكون مشحون بظهوره تعالى، فكيف يمكن أن يُعصى؟

المعرفة الولائية ثانيا:

لأن الحجاج في يوم عرفة، وعند الزوال، يقفون موقفا واحدا، وبينهم الغائب الذي يراهم ولا يرونه، إنه مهدي هذه الأمة (عجل الله فرجه الشريف)، الذي تتحدث الروايات عن وقوفه وحضوره في عرفة من كل عام.

وهنا يتجلى الاعتراف بالألوهية لله عز وجل، وبالنبوة لمحمد (ص) والإمامة للمنتظر المهدي (عج).

الاعتراف ثالثا:

بعد حصول المعرفة، ينكسر القلب أمام الجبار المتعال، الغفور الرحيم، فتكون أرض عرفة أرض الاعتراف بالذنب، والفرصة الثمينة التي يستفيد منها الحاج لاكتشاف نفسه، ومراجعة حساباته المعنوية بين يدي الله تعالى.

هذه اللحظات قلما تتكرر في تاريخ الإنسان، بل وفي المناسك، وحجم الرحمة الإلهية النازلة لا يمكن أن يحصى، وبذلك نفهم: «الحج عرفة».

والمعرفة والاعتراف نجدهما حاضرين في رواية الأسرار عن الإمام الصادق (ع) حين يقول: «واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله بوحدانيته».

سماحة الشيخ، كثيرا ما يعترف المذنب أمام ربه، لكنه سرعان ما يعود!؟

وهنا تأتي الفرصة. فرصة أن يدعو ربه في أن يرزقه توبة لا ذنب بعدها، وعفوا لا عقاب بعده.

لأن التوبة النصوح تحتاج إلى توفيق كبير من الله عز وجل، بالإضافة إلى شرط الإرادة القوية من الإنسان المؤمن.

الإمام السجاد «ع» في مناجاته في اسحار رمضان يقول: «اللهم تب عليَّ حتى لا أعصيك، والهمني الخير والعمل به، وخشيتك بالليل والنهار ما أبقيتني».

فالتوبة النصوح هي التي يترك الإنسان بها الذنب، ولديه العزم القوي على أن لا يرجع، فما بالك بالتائب الحاج؟

إن عزمه قد تولّد من كل آنات العبادة في مناسكه ومناجاته، فأصبح قوي الباطن، يستطيع أن يتحدث مع الله ويناجيه ويُقسم له بعدم العودة.

فإذا حصل ذلك، لا شك أبدا في هطول الرحمة على أرض القلب، وإنعاشها بالمحبة والتوبة.

إنّ أرضا يقف بها ملايين البشر، من كافة الأمصار، يدعون الله بشتى اللغات، هل هذه ميزة لهذه اللحظات في عرفة؟

نعم، فذلك أدعى لهطول الرحمة، وأضمن في حصول المغفرة، من الواسع الغفور، الذي لو قبل من واحد منهم شملت ألطافه بقية عبيده الفقراء.

يقول ملا هادي السبزواري في شرح (الأسماء الحسنى، ج١: ٢٠١):

(وأما الوقوف بعرفة، فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمتهم عرصات القيامة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة (ع)، واقتفاء كل أمة أثر نبيها وإمامها، وغير ذلك.

وإذا تذكر ذلك فليلزم قلبه التضرع والابتهال إلى الله أن يحشره في زمرة الفائزين، وليكن رجاؤه في أغلب، فإن الموقف شريف، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة النفوس الكاملة من أوتاد الأرض، ولا يخلو الموقف عن طائفة منهم ومن المرحومين ومن الأبدال والأوتاد وطوائف من الصالحين، فإذا اجتمعت هممهم طالبين للرحمة؛ فلا تظنن أنه يمنعهم عن رحمته.

ويلوح لك أن اجتماع الأمم بعرفات والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار الأرض والبلاد هو السر الأعظم من الحج، فلا طريق إلى استنزال الرحمة من الله أعظم من اجتماع الهمم).

الخلاصة:

- عرفة أرض المعرفة والاعتراف.
- في عرفة تتعمق المعرفة التوحيدية والمعرفة الولائية.
- في عرفة لحظات الاعتراف بالذنوب بين يدي الله تعالى.
- من أسرار عرفة اجتماع القلوب الموحدة على سؤاله عز وجل.

الحمد لله رب العالمين

الحلقة الثامنة

ضيافة الرحمة

أفضل اللحظات في قاعة الضيافة الإلهية

أسرار المبيت في مزدلفة ومنى

يقول تعالى: (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)، ما هي الآثار المعنوية لذكر الله في المشعر الحرام؟

بعد المغيب الشرعي يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) تنطلق قوافل الحجيج إلى المشعر الحرام (مزدلفة) وهي صحراء قاحلة، لا يوجد بها سوى بعض الخدمات والمرافق الصحية، لحاجة الحجاج الكرام.

فهي صحراء، وحين يقترب الفجر يتحول مناخها إلى البرودة القاسية، فيبحث الحاج عن شيء يحميه من تلك القسوة.

إذن، هو فصل جديد من فصول الالتجاء إلى الله عز وجل، هذا الفصل متقوم بالذكر الكثير للأسماء والصفات الإلهية، علها تلصق بالقلب، وتسكن الفؤاد، فتهيمن على الجوارح تدريجيا، فيكون مظهرا من مظاهر الله عز وجل.

ويستحب في هذا الفصل - بالإضافة إلى ذكر الله - الاشتغال بالعبادة، بشتى أنواعها، وأهمها: قيام الليل أو النصف الأخير منه. فعند شحن الأجواء بالعبادة تسترخي الأعضاء في أنس ضيافته.

ويستحب الاشتغال بجمع الحصيات، أي:الحصيات التي سوف يرميها الحاج في اليوم العاشر، وفي يومي: الحادي عشر والثاني عشر.

إذن: هو استعداد روحي، بل شحن إلهي للقاء (إبليس) الشيطان الرجيم.

ما هي قصة الإفاضة، وما هي آدابها؟

والإفاضة في الآية المباركة هي: الخروج من عرفة باتجاه مزدلفة، من بعد غروب الشمس، اتباعا لسنة نبينا المصطفى (ص).

هذه الإفاضة يجب أن تكون بكل وقار وسكينة، لإنها حركة نحو الله تقدست أسماؤه.

ومن الروايات الشاملة لآداب ومستحبات الإفاضة من عرفة؛ رواية معاوية بن عمار - المروية في الكافي، ج٤: ٤٦٧ - قال: قال أبو عبدالله (ع):

«إن المشركين كانوا يفيضون قبل أن تغيب الشمس، فخالفهم رسول الله (ص) فأفاض بعد غروب الشمس».

وقال أبو عبدالله (ع): «إذا غربت الشمس فأفض مع الناس، وعليك السكينة والوقار، وأفض بالاستغفار، فإن الله عز وجل يقول: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم)، فإذا انتهيت من الكثيب الأحمر عن يمين الطريق، فقل: (اللهم ارحم موقفي، وزد في عملي، وسلم لي ديني، وتقبل مناسكي)، وإياك والوجيف الذي يصنعه الناس، فإن رسول الله (ص) قال: أيها الناس، إن الحج ليس بوجيف الخيل ولا إيضاع الإبل، ولكن اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا، لا توطئوا ضعيفا، ولا توطئوا مسلما وتوأدوا واقتصدوا في السير؛ فإن رسول الله (ص) كان يكف ناقته حتى يصيب رأسها مقدم الرجل».

ويقول (ع): «أيها الناس عليكم بالدعة، فسنة رسول الله (ص) تتبع».

ما هي حدود (مزدلفة)، وما سر تسميتها بهذا الاسم؟

أما حدودها: تبدأ من وادي محسر غربا، وتنتهي بأول المأزمين شرقا.

وفي مروية (الوسائل، ج١٤: ١٨) عن أبي جعفر الباقر (ع): «حدّها ما بين المأزمين إلى الجبل إلى حياض محسر».

والمأزمان: جبلان بينهما مضيق يوصل إلى عرفات.

ومزدلفة، وجَمْع، والمشعر الحرام، أسماء لمكان واحد.

أما التسمية بـ(مزدلفة) فلأن جبرئيل (ع) خاطب إبراهيم الخليل (ع) بعد أن أفاض من عرفة: «يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام، فسُميت: مزدلفة»، كما في العلل (ج٢: ٤٣٦)، عن معاوية بن عمار، عن الصادق (ع).

أما التسمية بـ(جَمْع) فلأن آدم (ع) جمع فيها بين صلاتي المغرب والعشاء، كما في مروي العلل (ج٢: ٤٣٧) عن الصادق (ع).

والمشعر الحرام اسم لجبل في مزدلفة، فسميت مزدلفة باسمه. وقد أشار الشيخ الطوسي (ره) في (المبسوط: ج١: ٣٦٨) لذلك بقوله: (المشعر الحرام جبل هناك يُسمى قزح). ويستحب الصعود عليه وذكر الله كثيرا.

المشعرُ الحرام باب الله:

وفي (العلل، ج:٢: ٣٤٤) يكشف الأمام الصادق (ع) عن سر من أسرار (مزدلفة)، يقول (ع):

«لأن الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والمشعر بابه، فلما أن قصده الزائرون وقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة، فلما نظر إلى طول تضرعهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلما

قربوا قربانهم وقضوا تفثهم، وتطهروا من الذنوب، التي كانت لهم حجابا دونه؛ أمرهم بالزيارة على طهارة..».

فهي - كما ترى - فصول، يدخل الحاج من فصل ويخرج من آخر، حتى يغتسل فيرجع للبيت الحرام مرة أخرى طائفا ساعيا.

إنها رحلة الحاج إلى الطهارة المعنوية، والتقرب الإلهي.

سماحة الشيخ: ماذا بعد المشعر الحرام؟

بعد طلوع شمس يوم العاشر من ذي الحجة الحرام، يخرج الحجيج من مزدلفة إلى منى، لأداء الواجبات التالية:

الواجب الأول: رمي جمرة العقبة (الجمرة الكبرى) بسبع حصيات قربة لله تعالى.

الواجب الثاني: ذبح الهدي وتقديم القربان قربة لله تعالى.

الواجب الثالث: التقصير أو الحلق، قربة لله تعالى.

(منى) اسم مميز، ويبدو أن أرضها مليئة بالروحانية، حدثنا عن ذلك.

(منى) حُبلى بالذاكرة التاريخية الخاصة بالأنبياء (ع).

تمنّ يا إبراهيم:

تعال معي لنقرأ هذا النص، لنتعرف على بعض تلك الذاكرة:

يروي الصدوق (ره) في (العلل، ج:٢: ٤٣٥) عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (ع) قال: « إن جبرئيل أتى إبراهيم (ع) فقال: تمنًّ يا إبراهيم، فكانت تُسمى: منى، فسماها الناس: منى».

كانت مناجاة الأمين جبرئيل (ع) للخليل (ع) هي السر في هذه التسمية، والوصول إلى مناجاة كهذه يحتاج إلى الكثير من المراحل، ليكون العبد بين يدي خالقه.

«اللهم واجعلني ممن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجبته سرا، وعمل لك جهرا».

إبراهيم يرجم إبليس:

ومن تلك الذاكرة، أن إبليس كان يتراءى إلى إبراهيم (ع) في موضع الجمار، فرجمه، فجرت السنة على ذلك في كل حج.

وفي (العلل: ج٢: ٤٣٧) أن أول من رمى الجمرات آدم (ع).

قبل الله قربان هابيل:

والأضحية من شعائر الله، إلا أن الله عز وجل ما يريده في الحقيقة هو مقدار التقوى المتحصل عليه من هذه القرابين، وبمقدار صفاء نية القربة لله تعالى يُقبل العمل.

ألا ترى أن هابيل وقابيل قدم كل منهما أضحيته، وتقبل الله من الأول، ولم يتقبل من الثاني؟ إن السر يكمن في مقدار ما تهديه إلى الله بقلبك، وبما تبيعه الله في عملية البيع والشراء، يقول تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾. التوبة: ١١١.

يا أبت افعل ما تؤمر:

وتنتعش الذاكرة ها هنا، لنستذكر العملية الفدائية التي قام بها الخليل (ع) وابنه إسماعيل، ﴿ فلما بلغ معه السعي، قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك، فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ الصافات: ١٠٢.

انظر إلى إسماعيل (ع)، لم يقل: افعل ما رأيت، بل ما تؤمر! وهو في أحلى حالات التقرب إلى الله بنفسه الشريفة.

وقد روى الصدوق (ره) في (الخصال: ٥٦) عن الإمام الرضا (ع) قوله: «فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة».

إن إبراهيم الخليل وابنه (ع) قد نجحا في الامتحان، والآن جاء دورنا..

سماحة الشيخ، إن فعل إسماعيل غاية الجود، فماذا يمكننا أن نقدم؟

إن الله عز وجل يقول: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾.

إن الله عزّ وجل غير محتاج لأيٍّ من مخلوقاته، لكنه يريد لهم أن يتكاملوا وأن يتنافسوا على التقرب منه تعالى.

وإن تحصيل (التقوى) هي رأس مال العابد، الذي إن تحصّل عليه أصبح في محور الولاية الإلهية، ينفذ ما يريده الله عز وجل، ويترك عما ينهى سبحانه.

فقد يكون تكليفه كما كان تكليف سيد الشهداء (ع) في حركته الخالدة، وربما كان تكليفه كالإمام الخميني (ره)، وربما كان تكليفه التعلم والتعليم، وربما كان خدمة المجتمع الذي يحيا فيه، .. الخ.

إن طبيعة التكليف تحددها المسؤوليات، والمسؤوليات تحددها القابليات، والقابليات تتسع كلما زادت نسبة القرب الإلهي.

ما هي السمات الأخلاقية والروحية التي يستطيع أن يستلمها الحاج من خلال المبيت في منى؟

نردد في دعاء الصباح المروي في (البحار، ج٨٤: ٣٣٩) عن أمير المؤمنين (ع): «يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه، وكف أكف السوء عني بيده وسلطانه».

فالعبيد - في الواقع - رقودهم وسعيهم الدائم في كنف الله وفي ضيافته، هم يرقدون في مهاده، ويستيقظون بعد إحيائه، كل ذلك لا باستحقاقهم، بل بمننه وإحسانه سبحانه وتعالى.

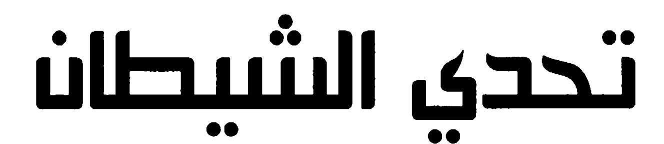
وفي (منى) تتأكد هذه الأجواء الروحانية، ويسمو فكر الحاج ليفكر في هذه الحقيقة الرائعة، التي لا تحتاج سوى الشكر، وأداء واجبات الضيف عند مضيفه.

الخلاصة:

- (مزدلفة) بوابة الله تعالى، وفصل من فصول السعي إليه.
- (الإفاضة) مناجاة عمليّة، لذا: لابد من السكينة والوقار.
- في (منى) تستفيق ذاكرة الموحدين الإبراهيميين.
- (التقوى) هي ثمرة: الرمي والذبح والتقصير.

الحمد لله رب العالمين

الحلقة التاسعة



كان يرمينا بسهامه والآن نرميه بجمارنا

أسرار رمي الجمرات

والآن جاء وقت الجمرات، حبذا لو نطل إطلالة فقهية سريعة.

يجب رمي الجمرات في ثلاثة أيام.

يوم العاشر من ذي الحجة، حيث يرمي الحاج الجمرة الكبرى بسبع حصيات.

يوم الحادي عشر والثاني عشر: حيث يرمي الحاج في هذين اليومين الجمرات الثلاث بدءً من الصغرى فالوسطى فالكبرى.

ذكرتم سابقا الجهاد الإبراهيمي ضد الشيطان، حبذا لو نعمق الفكرة في هذه الحلقة.

التعبير بـ(الجهاد الإبراهيمي) تعبير رائع، لأنه يستبطن وجود أطراف ثلاثة: المجاهد، العدو، أرض المعركة.

وهذه الأركان متوفرة فيما نحن فيه، فإبراهيم السالك (ع) كان يعترضه إبليس الرجيم بكل ما أوتي من استعداد وطاقة للغواية، وإبراهيم (ع) يواجهه بكل ما أستطاع من قوة ورباط القلب، لكن جبرئيل (ع) أرشده إلى سلاح فتّاك، ألا وهو سلاح: المقاومة بالحجر.

الفرار من إبليس:

المقاومة بالحجر كانت تعني حرق إبليس ورجمه، وكانت تعني أن مصدر الشرور الأبرز في حياة الإنسان ذهب ضحية رمية إبراهيمية بقدرة إلهية بحجر ناعم..

بهذا الحجر الناعم الصغير، المسمى (جمرة) يستطيع الحاج أن يستعيد شيئا من كرامته، وعزته. فبعد أن كان الشيطان يستضعفه حان وقت إضعاف الشيطان في داخله وفي وجوده.

وكل ما ذكرنا هو كناية عن الجهد الذي ينبغي للإنسان أن يمارسه ضد إبليس الرجيم في كل حياته، فلا بد له أن يلاحقه في كل لحظة، ليضيق عليه السبيل في داخله من خلال الصوم، وليسد عليه طريق الغواية من خلال السجود، وليحرقه بنار الشوق الإلهي.

ثقافة الرمي:

لكننا، ونحن نرمي، قد لا نشعر بكل ذلك، بل لا نشعر به بكل تأكيد، والقصور ليس منا بالضرورة، بل إن (ثقافة رمي الجمار) لم تكتمل بعد عن الكثير من المسلمين، فيحولون تلك الشعيرة إلى (ضجيج) بدلا من إبراز العضلات في وجه إبليس الرجيم، واستحضار الجهاد الإبراهيمي.

وهنا ينبغي التركيز على دور (الإرشاد) الديني الذي يقدمه العلماء والمهتمون في قوافل الحج، فلا ينبغي التركيز على الفقه فقط، بل يجب أن يكون الاهتمام منصب على الثقافة التي يجب على الحاج أن يستحضرها في كل مناسكه، وأهم تلك المناسك (رمي الجمار)، لنحافظ على أرواح الناس وأجسادهم من الأضرار اللاحقة بهم بسبب الجهل والتخلف وعدم مراعاة مشاعر الآخرين وقواعد السير.

سماحة الشيخ: الحاج حين يرمي الجمار يوم الثاني عشر يتهيأ للخروج من منى للنفرة، فكيف يستطيع أن يحافظ الحاج على كل تلك المكاسب المعنوية؟

لا بد لنا أن نستفيد مما يسطره علماء الأخلاق، فلا بد من العناية بالخطوات التالية: المشارطة، و المراقبة، والمحاسبة.

المشارطة هي: الاشتراط على النفس أن تلتزم بالأوامر، وتكف عن النواهي.

المراقبة هي: تعاهد النفس، وعدم الغفلة عنها.

المحاسبة هي: العقاب الذي يسلطه الإنسان على نفسه، بتوبيخها وإذلالها في مقام الاعتراف بالذنب.

يقول السيد عبدالله الجزائري في (التحفة السنية: ٢٠٠): (كذلك لا بد مع نفسه المشارطة، وقد كفاه الله سبحانه أقل ما يجب من ذلك، بما وظف عليه من الأعمال والتكاليف.

ثم المراقبة، بأن لا يغفل عنها، ويتعاهدها، ويتطلع عليها وقتا فوقتا عند خوضها في الأعمال، فإن الإنسان لو أهمل نفسه طرفة عين لوجد منها ما يجد من الوكيل الخائن من تضييع رأس المال، وصرفه في شهواته إذا انفرد بالأمر، وإلى مقام المراقبة وقعت الإشارة إليه بقوله عز وجل: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم بشهاداهم قائمون، والذين هم لفروجهم حافظون).

ثم المحاسبة في كل يوم، كما روي عن أبي الحسن (ع): «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم»).

إن المحافظة على تلك المكاسب العالية يحتاج إلى يقظة وإرادة خارقتين.

إنها ثروة غالية الثمن، لا يمكن التفريط بها لأجل غرض دنيوي تافه.

لماذا الذنب من جديد؟

لكن: لماذا تتكرر منا المعصية بعد كل هذا الجهد العبادي؟

لماذا ندخل تجربة المعصية الشاقة المرهقة للنفس، ونحن دخلنا تجربة التعلق الإلهي؟

هذا سؤال نطرحه بعد كل ليلة من ليالي القدر، ونطرحه بعد كل يوم عرفة من كل عام، ونطرحه بعد كل إحساس رائع بلذة المناجاة، لماذا الذنب من جديد؟

اعرف عدوك:

للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نركز على قاعدة: اعرف عدوك!

إننا - وللأسف - نغفل عن هذه القاعدة، فننسى أن العدو اللعين، والذي يمثله ثلاثي السوء: الشيطان، النفس الأمارة بالسوء، طول الأمل، يتحفز، ويعيد تشكيل قوته بعد كل جرعة نورانية نتزود بها.

إذا عرفنا أن الشيطان: يزين حب الدنيا، ويزين المعصية و..

إذا عرفنا أن النفس الأمارة بالسوء: تدفع بنا نحو الوقوع في المعصية..

إذا عرفنا أن طول الأمل: يبعدنا عن التوبة والتقرّب.

إذا عرفنا كل ذلك، يجب أن لا نركن إلى ما أحرزناه من نقاط روحية

في موسم الحج، بل يجب أن نعيش حياة تعميق تلك النقاط في قلوبنا، من خلال إضافة نقاط أخرى.

إن تراكم الحسنات، يضعف الرغبة في المعصية، والغفلة عن الطاعة، والعكس يساهم في سرعة فقدان تلك النقاط المعنوية.

سماحة الشيخ: نحن الآن مع النفرة، ماذا تمثل بالنسبة للحجاج، وهي اللحظة الأخيرة في الموسم المبارك؟

هي لحظة الوداع، لحظة الفرحة التي يعيشها الحاج الذي قُبلت طاعاته وعباداته ومناسكه.

هي اللحظة التي ينتظر فيها إحدى خصال ثلاث: إما يعتق من النار، أو يرجع لأهله نقيا طاهرا كما ولدته أمه، أو يُحفظ في نفسه وماله وأهله.

والوداع هنا، يعني: التوجه لله عز وجل بقبول المناسك، والدعاء بالتوفيق في تكرار الحج من قابل، بل وفي كل عام.

هل يمكن استنباط معنى (الفرار إلى الله) من هذه الممارسة المباركة؟

رواياتنا الشريفة فسّرت (فروا إلى الله)، أي: حجوا إلى الله، فالفرار إليه تعالى قصد بيته الحرام. ولا شك أنه من أجلى مصاديقه.

لكن يمكننا أن نفهم (الفرار إلى الله) من زاوية أخرى، إذ أن الحاج حينما ينتهي من مناسكه تكون حبائل الشيطان حوله أكثر، لأن الأخير يحاول دوما القضاء على شعلة الخضوع بين يدي الله عز وجل، لذلك فـ(الفرار) بعد الانتهاء من الحج يعني: التمسك بتلك الحصيلة المعنوية، من خلال الالتجاء إليه سبحانه، والتوسل بأوليائه الطاهرين (ع).

الخلاصة:

- الجهاد ضد إبليس يسلتزم: معرفة النفس، ومعرفة العدو.

- في الجمرات: مظهر من مظاهر تحدي النفس والهوى.

- ثقافة الرمي أولاً!

- مشارطة النفس ومراقبتها ومحاسبتها خطوات في طريق المحافظة على المكاسب الروحية.

- بتراكم الحسنات تزداد المناعة الداخلية للمؤمن.

- المحافظة على المكاسب المعنوية فرارٌ إليه عز وجل.

الحمد لله رب العالمين

الحلقة العاشرة

مسك الختام

بوابة الأسرار

رواية نفيسة

أورد المحدث النوري في (مستدرك الوسائل، ج١٠: ١٧٢) هذه الرواية النفيسة، نقلا عن (مصباح الشريعة):

(قال الصادق (ع): إذا أردت الحج:

فجرّد قلبك لله تعالى - قبل عزمك - من كل شاغل وحجب كل حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق.

واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك؛ مخافة أن يصيروا لك عدوا ووبالا، فإن من ادعى رضا الله واعتمد على شيءٍ صيّره عليه عدوا ووبالا، ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه.

واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع ، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه (صلى الله عليه وآله) وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم: اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمعنى إجابة صافية زاكية لله عز وجل في دعوتك له، متمسكا

بعروته الوثقى.

وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.

وهرول هرولةً من هواك، وتبريا من جميع حولك وقوتك.

فاخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه.

واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله بوحدانيته.

وتقرّب إلى الله ذا ثقة بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل.

واذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة.

وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات.

واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك.

وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم.

وزر البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته، وودع ما سواه بطواف الوداع، وصف روحك وسرك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرأى من الله تقيا عند المروة.

واستقم على شرط حجتك هذه، ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبته إلى يوم القيامة) .

رواية لطيفة

يقول السيد عبد الله الجزائري في (التحفة السنية: ٤٨١ - ٥٨١):

(وجدتُ في عدة مواضع، أوثقها بخط بعض المشايخ الذين عاصرناهم مرسلا، أنه لما رجع مولانا زين العابدين (ع) من الحج استقبله الشبلي، فقال له (ع): حججت يا شبلي ؟ قال: نعم، يا بن رسول الله.

(أسرار الميقات):

فقال له (ع): أنزلتَ الميقات وتجردت عن مخيط الثياب و اغتسلت؟

قال: نعم.

قال (ع): فحين نزلتَ الميقات نويتَ أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا.

قال (ع): فحين تجردتَ عن مخيط ثيابك نويتَ أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا.

قال (ع): فحين اغتسلتَ نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟

قال: لا.

قال (ع): فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت.

ثمّ قال (ع): تنظفتَ، وأحرمت، وعقدت الحج؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويتَ أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا.

قال (ع): فحين أحرمت نويت أنك حرَمت على نفسك كلَّ مُحرم حرمه الله عز وجل؟ قال: لا.

قال (ع): فحين عقدت الحج نويت أنّك قد حللت كلَّ عَقد لغير الله عز وجل؟ قال: لا.

قال له (ع): ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج.

قال له (ع): أدخلت الميقات وصليت ركعتي الاحرام ولبيت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين دخلت الميقات نويت أنك دخلت بنية الزيارة؟ قال: لا.

قال (ع): فحين صليت ركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟ قال: لا.

قال (ع): فحين لبيت نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟ قال: لا.

قال له (ع): ما دخلت الميقات، ولا صليت، ولا لبيت.

(أسرار الحرم):

ثمّ قال له (ع): أدخلت الحرم، ورأيت الكعبة، وصليت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين دخلت الحرم نويتَ أنك حرّمت على نفسك كلَّ غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الاسلام؟ قال: لا.

قال (ع): فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنّك قصدت الله سبحانه؟

قال: لا.

قال (ع): فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت.

ثمّ قال (ع): طِفت بالبيت، ومسست الأركان، وسعيت؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعرف ذلك منك علامُ الغيوب؟ قال: لا.

قال (ع): فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت.

ثمّ قال له (ع): صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم (ع)، و صليت به ركعتين؟ قال: نعم.

فصاح (ع) صيحة كاد يفارق الدنيا، ثمّ قال (ع): آه آه، ثمّ قال (ع): من صافح الحجر الأسود فقد صافح الله سبحانه.

فانظر يا مسكين لا تضيّع أجر ما عظُم حرمته وتنقض المصافحة بالمخالفة، و قبضِ الحرام، ونظر أهل الآثام.

ثمّ قال (ع): نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟ قال: لا.

قال (ع): فحين صليت فيه ركعتين نويت أنك اتصلت بصلاة إبراهيم، وأرغمت أنف الشيطان (لعنه الله)؟ قال: لا.

قال له (ع): فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه ركعتين.

(أسرار زمزم، والسعي):

ثم قال له (ع): أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟ قال: نعم.

قال (ع): أنويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟ قال: لا.

قال (ع): فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها.

ثم قال له (ع): أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت، وترددت بينهما؟

قال: نعم.

قال (ع): نويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا.

قال (ع): فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة.

(أسرار الخروج إلى منى والوقوف بعرفة):

ثم قال (ع): أخرجت إلى منى؟ قال: نعم.

قال (ع): نويت أنك أمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟ قال: لا.

قال (ع): فما خرجت إلى منى.

ثم قال (ع): أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي عرنة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟ قال: نعم.

قال (ع): هل عرفت بموقفك بعرفة معرفةَ الله سبحانه أمرَ المعارف والعلوم؟ وعرفت قبضَ الله على صحيفتك، واطلاعه على سريرتك وقلبك؟ قال: لا.

قال (ع): فنويت بطلوعك جبل الرحمة أنّ الله يرحم كلَّ مؤمن

ومؤمنة، ويتوالى كلٍّ مسلم ومسلمة؟ قال: لا.

قال (ع): فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما وقفت عند العلم والنمرات نويت أنّها شاهدةٌ لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السماوات؟ قال: لا.

قال (ع): فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، و لا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات.

(أسرار المشعر الحرام):

ثم قال (ع): مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟ قال: نعم.

قال (ع): فحين صليت ركعتين، نويت أنها صلاة الشكر في ليلة عشر تنفي كل عسر وتيسر كل يسر؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما مشيت بين العلمين، ولم تعدل عنهما يمينا وشمالا، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يمينا وشمالا، لا بقلبك ولا بلسانك ولا بجوارحك؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كلٍّ معصية وجهل، وثبت كلٍّ علم وعمل. قال: لا.

قال (ع): فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك شعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟ قال: لا.

قال (ع): فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام.

(أسرار رمي الجمرات، والحلق، والهدي، والرجوع إلى مكة):

ثم قال له (ع): وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟ قال: نعم.

قال (ع): فنويت عندما وصلت منى ورميت الجمار أنك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى لك ربُك كلَّ حاجتك؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس، وغضبته بتمام حجك النفيس؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأدناس، ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنك اتبعت سنة إبراهيم بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه، وصارت سنة لمن بعده وقربة إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال: لا.

قال (ع): فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى، ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟ قال: لا.

قال له زين العابدين (ع): فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا ذبحت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ارجع فإنك لم تحج!

فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين).

حياة العارف

من بيان للإمام الخميني (ره) في ٢-١٢- ١٤١٧هـ، أورده الشيخ محمد الريشهري في: (الحج والعمرة في الكتاب والسنة: ١٢):

(الحجّ، كالقرآن، ينتفع به الجميع، لكن العلماء والمتعمقين في معانيه، والمطلعين على هموم الأمة الإسلامية إن ألقوا القلب في بحر معانيه ولم يتهيبوا الدنو والغوص في أحكامه وسياساته الاجتماعية سيلتقطون من أصداف هذا البحر المزيد من جواهر الهداية والرشد والحكمة والحرية، وسيرتوون إلى الأبد من زلال حكمته ومعرفته.

ولكن .. ما العمل ؟! وأين نمضي بهذا الغم العظيم حيث صار الحج مهجورا كالقرآن؟!

إنه كما خُفي عنّا كتاب الحياة والكمال والجمال هذا في الحجب التي صنعناها، وكما دفنت خزانة أسرار الخليقة في جوف أكداس تربة أفكارنا العوجاء، وهبط لسان الأنس والهداية والحياة إلى لسان الوحشة والموت والقبر . . . فكذلك مُني الحج بهذا المصير! فصار من عاقبة الأمر أن ملايين المسلمين يقصدون « مكة « كل عام ، ويضعون أقدامهم على أرض وطأها «النبي» و «إبراهيم» و «إسماعيل» و «هاجر» . . .

ولكن لا أحد يسأل نفسه : مَن إبراهيم ومحمد (ص)؟ وماذا فعلا؟ وما كان هدفهما؟ وما يريدان منا؟

والخلاصة:

إنّ على المسلمين جميعا أن يجدّوا في تجديد حياة الحج والقرآن الكريم، وفي إعادتهما إلى ميادين حياتهم).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أسرار الحج، آية الله الشيخ جوادي آملي، دار الإسراء، قم، إيران.

أسرار الحج، الشيخ حسام سلاط، نشر: المؤلف، القطيف.

أسرار العبادات، الشيخ حسين المصطفى، المحجة البيضاء، بيروت، لبنان.

أسرار الحج، الشيخ الغزالي. تحقيق: موسى محمد علي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

التحفة السنية، السيد عبدالله الجزائري، (مخطوط)، مكتبة أهل البيت (عليهم السلام) الالكترونية.

تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

الحج والعمرة في الكتاب والسنة، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، قم المقدسة، إيران.

رجال شيخ الأزهار، المسمّى بالمنتزع المختار من الغيث المدرار، الإمام

أحمد المرتضى، مكتبة غمضان، اليمن.

سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي سبزواري، مكتبة بصيرتي، قم، إيران.

الكافي، الشيخ الكليني، علق عليه: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران. إيران.

كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، إيران.

مفرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام، السيد زين العابدين بن نور الدين الحسيني الكاشاني، من أعلام القرن الحادي عشر، تحقيق: عمار نصار، حيدر مال الله، دار مشعر. ط: ١، ١٤٢٨هـ.

من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق، تعليق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم المقدسة، إيران.

نهج البلاغة، خطب وكلمات أمير المؤمنين (ع)، جمع: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع)، قم. إيران.

❖ اعتمدنا في أكثر المراجع أعلاه على: مكتبة أهل البيت (ع) الالكترونية.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٥	مقدمة المؤلف
٧	الحلقة الأولى: هندسة التوازن (في أسرار العبادات)
٩	التوازن بين الروح والجسد
١٢	الأبعاد الشاملة للحج
١٣	البعد الفكري
١٣	البعد الروحي
١٣	البعد السياسي
١٤	البعد الاجتماعي
١٤	أسلوب تفعيلها داخل النفس
١٦	منهج اكتشاف الأسرار
٢٠	التوازن بين العقل والغيب
٢٠	محور العبودية
٢٢	الخلاصة
٢٣	الحلقة الثانية: شاطئ اللقاء (في أسرار الميقات)
٢٥	آداب الميقات
٢٦	أسرار الميقات
٢٧	نزع الأنا!
٢٨	حقيقة الإحرام

حكمة نزع المخيط من الثياب	٢٨
الاستعداد للقاء	٣٠
عالم النية	٣١
الخلاصة	٣٤
الحلقة الثالثة: كعبة الموحدين (في أسرار الحرم)	٣٥
أسرار الحرم	٣٧
في الطريق إلى مكة	٣٨
الأرض المباركة	٣٨
مكة أرض الرسالات	٤٠
آداب الدخول للمسجد	٤١
خصائص الكعبة المشرفة	٤٢
تربيع الكعبة	٤٤
النظر للكعبة عبادة	٤٤
الخلاصة	٤٦
الحلقة الرابعة: رائحة العبودية (في أسرار الطواف)	٤٧
معالم البيت العتيق	٤٩
الحرية التوحيدية	٥٣
سر الأشواط السبعة	٥٤
الولاية الإلهية	٥٥
الخلاصة	٥٦
الحلقة الخامسة: زمزم المحبة (في أسرار المقام وماء زمزم)	٥٧
إرشادات فقهية	٥٩
أسلوب التشبه بالمعصومين (ع)؟	٦٠
حجر إسماعيل (ع)	٦١
ميزاب الرحمة	٦٢
الشاذروان	٦٢
ماء زمزم	٦٣
منهج البحث التاريخي في تاريخ الرسالات	٦٤

الخلاصة ٦٥
الحلقة السادسة: من شعائر الله (في أسرار السعي) ٦٧
ماذا يعني التطوّف بهما؟ ٦٩
ماذا يعني: لا جُناح؟ ٦٩
السعي والحركة الدؤوبة ٧٠
البحث عن الحقيقة ٧١
السعي الحقيقي ٧٢
السعي: من أحب بقاع الأرض لله تعالى ٧٣
سر التقصير ٧٤
الخلاصة ٧٥
الحلقة السابعة: أرض المعرفة (في أسرار عرفة) ٧٧
نظرة فقهية ٧٩
الحج عرفة ٨٠
إبراهيم يعترف بذنبه ٨١
المعرفة التوحيدية أولا ٨٢
المعرفة الولائية ثانيا ٨٣
الاعتراف ثالثا ٨٤
ملايين البشر في عرفة ٨٤
الخلاصة ٨٥
الحلقة الثامنة: ضيافة الرحمة (في أسرار مزدلفة ومنى) ٨٧
الذكر في المشعر الحرام ٨٩
قصة الإفاضة ٩٠
حدود مزدلفة ٩١
باب الله ٩١
منى والذاكرة الإبراهيمية ٩٢
أسرار المبيت بمنى ٩٥
الخلاصة ٩٥
الحلقة التاسعة: تحدي الشيطان (في أسرار رمي الجمار) ٩٧

الجهاد الإبراهيمي	٩٩
ثقافة الرمي	١٠٠
أسلوب في المحافظة على مكاسب الحج	١٠١
اعرف عدوك	١٠٢
الفرار إلى الله	١٠٣
الخلاصة	١٠٤
الحلقة الأخيرة: مسك الختام	١٠٥
رواية نفيسة عن الصادق (ع)	١٠٧
رواية لطيفة: السجاد (ع) والشبلي	١٠٩
العارف والحياة	١١٦
المراجع	١١٩
الفهرس	١٢١